

ديوان
جميل بثينة



دار البعث
للطباعة والنشر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

دیوان
جمیل نشینہ

جميل بن معمر

؟ - ٧٠١ م

لا يُذكر جميل إلا تبادر إلى الذهن ذلك الحب العذري الذي شهر به أبناء
عذرة قبيلة الشاعر ، حتى قيل إنهم كانوا إذا أحبوا ماتوا ، لما هم عليه من الصدق
والاخلاص ، ولما اتصفوا به من العفاف وكبح النفس عن شهواتها إذا اجتمعوا
بمحبوباتهم ، على ما يلقون من الإبعاد والحرمان . لأن الشاعر منهم كان يحب
الفتاة فيتغزل بها ، فيفتضح أمرها ، فإذا خطبها إلى أبيها ، ردّه خائباً مخافة التعبير
لئلا يقال إنّه زوّجها به سراً لعارها . ثم لا يلبث أن يزفّها إلى أول طالب يرتضيه
لها ، ليجعلها محصنة في حمى بعلها ، فيصبح الشاعر كلفاً بحبّ امرأة متزوجة ،
لا يجوز له أن يستبيح حرمها ، فتتمتدّ يد السلطان إلى معاقبته والاقتصاص منه .
ولكنه عاشق متبول لا يقوى على مغالبة هواه ، ولو كان فيه هلاكه ،
فيسعى إلى الاجتماع بها سراً على غرة من أهلها ، حتى إذا عرفوا بأمره شدّدوا
في حجبتها عنه ، وشكوه إلى الوالي ، فيهدده ويتوعده ، ثم يهدر دمه ، فيهرب
منه هائماً على وجهه ، يحوب القفار ، وينشد الأشعار ، حتى يأتيه الموت فينقذه
من عذابه .

وجميل بن عبد الله بن معمر العذري أصابه ما أصاب غيره من هؤلاء
الشعراء الناعسين . فقد أحبّ بثينة بنت حباب بن حنّ بن ربيعة ، من عذرة ،

فهي ابنة عمه تلتقي وإياه في حنّ من ربيعة في النسب . وكانا يقيمان في وادي القرى ، وهو موضع في الحجاز قريب من المدينة ، وقيل إنه أحبها وهو غلام صغير ، وهي جويرية لم تدرك ، ويروون على ذلك خبراً مستطرفاً ، قيل فيه إن جميلاً أقبل يوماً بإبله ، حتى أوردتها وادياً يقال له بَغِيض ، فاضّجع وأرسل الإبل مصعّدة ، وأهل بثينة بذيل الوادي ، فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين ، فمرتتا على فيصالٍ لجميل بُرُوك ، فضربتهن بثينة عابثة ، فأخنتهن ، فسبّها جميل ، فردت عليه شتمته ، فاستملح سبابها وأحبّها . وفي ذلك يقول :

وأول ما قاد المودةَ بيننا بوادي بَغِيضٍ ، يا بُثَيْنَ ، سِبَابُ
فقلنا لها قولاً ، فجاءت بمثله ، لكلّ كلام ، يا بُثَيْنَ ، جوابُ

على أن أخبار جميل وأشعاره تدلّنا أن بثينة لم تكن أول من أحب من النساء ، فقد تعشّق قبلها أختها أم الجُسَيْرِ أو أم الحسين ، على اختلاف الروايات فيها . فمن ذلك قوله ينسب بها :

ألم تسأل الدار القديمة : هل لها بأَمّ جُسَيْرٍ ، بعد عهدِكَ ، من عهدٍ
وقوله أيضاً :

يا خليلي ، إنّ أمّ حسين حين يدنو الضجيعُ من عَنَلِهِ
روضةٌ ذاتُ صَفْوَةٍ وخُزَامِي ، جاد فيها الربيع من سَبَلِهِ

فلما علق بثينة شغلته عن سائر النساء ، فوقف قلبه وشعره عليها ، يذكر اسمها مرة ، ويكني عنه مرة باسم آخر ، حتى شهر بها وشهرت به ، فقليل : جميل بثينة . وتحدث بهما الناس في القبيلة وخارج القبيلة . فلما جاء يخطبها إلى أبيها ، ضنّ عليه بها ، لثلا يلحقه عارها ، وآثر تزويجها فتى من عُدرة

يقال له نُبِيَّه بن الأسود ، وفيه يقول جميل :

لقد أنكحوا جهلاً نُبِيَّها ظعينةً ، لطيفةً طي الكشح ، ذات شوى خدول

وزاده زواجها ولها بها ، فأخذ يزورها خفية في بيت بعلمها ، ويشبب بها في شعره ، ولم تكن تتوارى عنه إذا جاءها ، وتساعدها أخواتها على الاجتماع به ، ويحتلن على زوجها ووالدهن ، فيصرفنهما عنها ، إذا طلباه عندها . وتعرض له أهلها وأنسابها غير مرة للإيقاع به ، فكان يدفعهم عنه معتزاً بسيفه وشجاعته ، لا يباي تألبهم عليه ، وفي ذلك يقول :

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي . وهَمَّوا بقتلي ، يا بثن ، لقوني
إذا ما رأوني طالعاً من ثنيةٍ . يقولون : من هذا ؟ وقد عرفوني

ولم يقتصر الأمر عليهم بل تصدى له الشعراء من بني الأحب رهط بشينة يهجونه كعبيد الله بن قُطَيْبَة وأخيه جَوَّاس ، وعُمَيْر بن رَمْل وسواهم ، فردّ عليهم جميل ، وبلغ من هجائهم ما بلغوا من هجائه . وكان جَوَّاس زوج أم الحسين أخت بشينة ، وقد تغزل بها جميل كما ذكرنا ، فأخذ يهجوهم وجميل لا يجيبه احتقاراً له ، حتى قال في أخته :

إلى فَخِذِهَا الْعَبْلَتَيْنِ ، وكانتا ، بعهدي ، لِفَاوَيْنِ أَرْدِفْنَا ثِقْلًا

فحمي جميل حينئذٍ ورد عليه ، فالتحم بينهما الهجاء ، فغضب لجميل نفر من قومه ، يقال لهم بنو سفيان ، فجاؤوا إلى جَوَّاس ليلاً ، وهو في بيته ، فضربوه ، وعوروا امرأته أم الحسين . فقال جميل :

ما عَرَّ جَوَّاسُ اسْتَهَا ، إذ يسبهم بَصَقْرِي بني سفيان : قيس وعاصم .

هما جرّدا أمّ الحسين . وأوقعا أمرّ وأدهى من وقعة سالم
فاستاءت بثينة من جميل لهجائه أهلها جميعاً ، وما كانت تتوقع منه أن
يتناول أختها بشعره . فقال مخاطبها :

تفرّق أهلانا ، بثّينَ ، فمنهم فريق أقاموا . واستمرّ فريقٌ
فلو كنتُ خوَّاراً لقد باحَ مُضمَري ولكنني صُلْبُ القنّاةِ . عريقٌ
كأنّ لم نحارب ، يا بثّين ، لو أنّه تكشفُ غمّاها . وأنتِ صديقٌ

ولقد أعذر جميل إليها ، فإنّه شجاع حميّ الأنف لا يحتمل الضيم . ولا
ينكص عن مقارعة من هاجاه ، ما استطاع إليه سبيلاً . وهو إلى ذلك أعرابي
فيه عنجهية أهل البادية ، وحفاظهم على الحرم ، ودفعهم الشر بمثله ، فلم يتمالك
عن الاقذاع لأختها ، بعدما أقذع زوجها لأخته . وإذا كانت بثينة لا تحمل له
الحقد ، وإن غضبت عليه ، فأهلها محنقون ساخطون يرصدون له الأذية .
ويوالون الشكوى إلى عشيرته مهّدين متوعدين . حتّى إذا أعياهم أمره استعدوا
عليه عامر بن ربّعي بن دجاجة . وكان عاملاً على وادي القرى ، وقالوا له :
يهجوننا ويغشّى بيوتنا وينسب بنسائنا . فأباحهم دمه إن وجدوه قد غشي دورهم .
فحذّروهم مدة ، ثم وجدوه عندها . فتوعّدوه وكرهوا أن ينشب بينهم وبين قومه
حرب في دمه . وكان قومه أعزّ من قومها ، فأعادوا شكواه إلى العامل ، وشكوه
إلى مروان بن هشام الحضرمي والي تيماء من قبل عبد الملك ، فطلبه طلباً شديداً ،
فهرب إلى اليمن ، فأقام بها مدة ، حتّى إذا عَزَل الوالي عاد إليها يتبعها حيث
كانت . وربما عرضت له أسفار أبعدته عنها ، فقد ترحّل إلى الشام وطالت إقامته
فيها ، وقيل إن بثينة علقت في غيابه حُجّة الهلالي ، فلما رجع جميل جنّها
زمناً ثم اصطلحا وعاد الهوى إلى حاله ، وكثيراً ما كانت تحدث أمثال هذه

المجافيات بينهما ، كما تحدث بين العشاق عادة ، تتعمدها بثينة إثارة لغيرته أو نكاية به لأمر تتسخطه منه . وربما حدث ذلك بمساعي أهلها أو أهله . روى صاحب الأغاني أن رهط بثينة أخذوا يذيعون أن جميلاً يتبع أمةً لهم ، وأن بثينة لا علاقة لها به ، يريدون إذلاله وتبرئة فتاتهم ، فاحتدم جميل غيظاً ، وأراد تكذيبهم صوناً لسمعته ، وإن أساء إلى سمعة حبيبته ، وهو صنيع لا يحمد عليه العاشق العذري ، ولكن خلق البداوة يغلب أحياناً عليه . فواعد بثينة ببرقاء ذي ضال ، فتحدثا ليلاً طويلاً حتى اسحرا . ثم قال لها : هل لك أن ترقدي ؟

قالت : ما شئت ، وأنا خائفة أن نكون قد أصبحنا .

فوسدها إلى جانبه ، ثم اضطجعا ونامت . فانسمل واستوى على راحلته فذهب . وأصبحت في مضجعها والحى يراها راقدة عند مناخ راحلة جميل . فلما انتبهت علمت ما أراده بها ، فهجرته وآلت ألا تظهر له . وفي ذلك يقول :

فمن يكُ في حيي بثينة يَمَـتري ، فبرقاء ذي ضالٍ عليّ شهيدُ

ولطالما قرّعه نساءُ عشيرته ليبعدنه عنها ، فيقلن له : إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يحظى بها ، فيتألم جميل ويعاتب بثينة ويتهمها فيتهاجران مدة ثم يتعاطيان ويتصافيان . وربما رآها تتحدث إلى فتى من بني عمها ، منصرفة إليه بجملتها ، فيتلظى فؤاده غيرة عليها ، فيعطف على فتاة غيرها يحادثها وبلازمها ، فيشق ذلك عليه وعلى بثينة ، وكل واحد منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه ، حتى إذا غلبه الأمر دخل إلى البيت الذي كان يجتمع فيه معها . فتراه بثينة فتأتي إلى البيت ولا تبرز له ، فيجزع جميل ، ويجعل كل واحد منهما يطالع صاحبه ، وقد بلغ الأمر من جميل كل مبلغ ، فيقول :

لقد خفت أن يغتالي الموت عتوة . وفي النفس حاجات إليك كما هيا
وإني لتثني الحفيظة . كلما لقيتك يوماً . أن أبثك ما بيا
ألم تعلمي . يا عذبة الرقيق . أنسي أظلم . إذا لم أسق ريقك ، صاديا ؟
ففرق له وتصالحه ثم تقول له : أنشدني قولك :

تظل وراء السر ترنو بلحظها ، إذا مرّ من أترابها من يروقها
فينشدها إياه . فتبكي وتقول : كلا يا جميل . ومن ترى أنه يروقي غيرك !
فقد كانت بثينة تهوى جميلاً . وتؤثره على غيره من الفتيان الذين كانوا
يروقونها ، فتميل إليهم تلهياً أو تشفياً . وظلت محافظة على مودته ، وهي امرأة
ذات بعل ، لا تتلكأ عن الاختلاء به كلما جاء إليها . أو دعاها إليه ، وحسبنا
دليلاً على وفائها له . ما أصابها يوم نعاها الناعي إليها . وكان قد هاجر إلى مصر
بعدما بلغ به اليأس مبلغه . فمرض هناك مرضته الأخيرة . فلما حضرته الوفاة
دعا برجل وقال له : « هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه . على أن تفعل شيئاً
أعهد به إليك ؟ » قال : نعم . قال : « إذا مت ، فخذ حلتي هذه ، واعزلها
جانباً ، وكل شيء سواها لك ، وارجل إلى رهط بثينة على ناقتي هذه ، والبس
حلتي هذه إذا وصلت ، واشققها ثم اعلُ على شرف ، وصح بهذه الأبيات :

صدع النعي . وما كنى . بجميل . وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجرّ الذيل في وادي القرى . نشوان بين مزارع ونخيل
قومي ، بثينة ، فاندبني بعويل ، وابكي خليلك دون كل تحليل

فلما أتى الرجل وأنشد الأبيات . برزت بثينة وقالت : « يا هذا : إن كنت
صادقاً فقد قتلتني ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . » فقال : « ما أنا إلا

صادق . » وأراها الحلة ، فصاحت ، وصكت وجهها . فاجتمع نساء الحي
يكيّن معها ، حتى صعقت . فمكثت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وقالت :

وإنّ سلوِي غن جميل لساعة من الدهر ما حانت ، ولا حان حينها
سواءً علينا ، يا جميل بن معمر ، إذا متّ ، بأساءُ الحياة ولينها

وأما حب جميل لبشينة فلم يخالطه هوى آخر ، على كثرة الفتيات اللواتي
كن يتعرضن له ، وهن من عشيرته ، ليصرفنه عنها ، فما هفا فواده إلى سواها ،
ولا استملح حديثاً غير حديثها ، ولا استعذب ثغراً سوى ثغرها ، ولم يقل الشعر ،
بعدما أحبها ، إلا فيها ، ومات وذكرها في قلبه ولسانه ، وآخر شعر قاله
بعث به إليها . وهي التي أوسحت إليه الغزل الجميل الذي لم يعرف الشعر القديم
أوقع منه أثراً في النفس ، ولا أبلغ منه تحريكاً للقلب وإثارة للعاطفة ، لا يقتصر
على التشبيب بمحاسن المرأة بل يضيف إليه شيئاً روحياً يعنى بنفس الشاعر
ومشاعرها وآلامها وآمالها ، وربما كانت عنايته بنفسه أكثر من عنايته بوصف
محبوبته ، فلا يكاد يذكرها حتى ينصرف إلى بثّ شكواه وما يلاقيه من تباريح
البعد والجفاء والحرمان ، صادق اللوعة ، عف الضمير واللسان ، رصين
التعبير لا يتبدل . وقلما قرأت له من الشعر ما يبعث الشك في عفته وعفة صاحبتة
إلا أبياتاً قليلة تلمح من خلالها الريبة لمحاً وقد يكون الدافع إليها سخطه
منه على بشينة إذا هجرته أو مالت إلى غيره ، كما حدث له معها حين علقت حجّة
الهلالي ، فطلب منها أن تعلم جميلاً بأنها استبدلته به ، فقالت :

ألم تر أنّ الماءَ غيرَ بعدكم ، وأنّ شعابَ القلبِ بعدك حلتِ ؟
فأجابها جميل :

فإنّ تكُ حلتِ ، فالشعاب كثيرة ، وقد نهلت منها قلوصي وعلت

أو أن يكون الدافع إليها حميته البدوية للذود عن كرامته كقوله :

فبرقاءُ ذي ضالٍ عليّ شهيد

أو أنها تأتي في جملة تشبيهه فيذكر عناقها ورشف ثغرها مثل قوله :

ألم تعلمي ، يا عذبة الريق ، أنني أظل ، إذا لم أسقَ ريقك ، صاديا ؟

وهذه كلها هنات لا تقدح في عفة غزل جميل وروحانيته ، وهو القائل :

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لفرّت بلابلهُ

بلا ، وبالاّ أستطيع ، وبالمنى ، وبالأمل المرجوّ قد خاب آمِلُهُ

وبالنظرة العجلى ، وبالحول ينقضي أواخرُهُ ، لا تلتقي ، وأوائله

ويقول أيضاً :

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ، ويحيا إذا فارقَتْها ، فيعودُ

أما أخباره ففيها تناقض كثير بحسب اختلاف الروايات ، فمنها ما تتحدث

عن عفته وتغالي فيها ، ومنها ما ترينا الريبة في خلواته مع بثينة ، فتفسد علينا

جمال الهوى العذري ، فإذا هما عاشقان يقتطفان اللذات كسائر العشاق ،

وقد يكون في هذه الأخبار ما هو موضوع عليهما رغبة في تفكهة الناس

وتسليتهم بغرائب أحاديث المتيمين ، فشعره ، على علاته ، أحق من أخباره

بصيانة وجه الجمال العذري ، وأكثر أشعاره قيلت في الغزل ، وأقلها في المدح

والفخر والهجاء ، فلذلك جعلنا الغزل باباً مستقلاً برأسه ، وجمعنا أغراضه

المختلفة في باب واحد ، وأردفنا الأبيات المفردات في آخر الديوان .

بطرس البستاني

الفضل

يموت الهوى مني

ألا ليتَ ريعانَ الشبابِ جديداً . ودهراً تولّى . يا بُشَيْنِ . يعودُ
فنبقى كما كنّا نكونُ . وأنتمُ قريبُ ، وإذ ما تبدّلين زهيدُ
وما أنسَ ، مِ الأشياءِ ، لا أنسَ قولها وقد قُرّبتَ نصوي : أمصرَ تريدُ ؟
ولا قولها : لولا العيونُ التي ترى : لزرْتُكَ ، فاعذُرني ، فدَتِكَ جُدودُ
خليلي ، ما ألقَى من الوجدِ باطنُ ، ودمعي بما أخفي ، الغداةَ ، شهيدُ
ألا قد أرى ، واللهِ ، أنْ رُبَّ عِبْرَةٍ ، إذا الدار شطّتَ بيننا . ستزیدُ
إذا قلتُ : ما بي يا بئينةُ قاتلي ، من الحبِّ ، قالت : ثابتُ ، ويزیدُ
وإن قلتُ : رُدِّي بعضَ عقلي أعشْ به ! تولّتْ وقالتُ : ذاكَ منكَ بعيد !
فلا أنا مردودُ بما جئتُ طالباً ، ولا حُبّها فيما يبيدُ يبيدُ
جزّتكِ الجوازي ، يا بئينَ ، سلامةً ، إذا ما خليلُ بانَ وهو حميدُ^٣
وقلتُ لها : بيني وبينكِ ، فاعلمي ، من اللهِ ميثاقُ له وعُهود

١ م الأشياء : أي من الأشياء . استعملت في الشعر . نصوي : أي ناقي الهزيلة .

٢ شطت : بعدت .

٣ الجوازي ، جمع الجازية : وهي المكافأة .

وقد كان حُبَيْكُمُ طَريفًا وتالداً ، وما الحبّ إلا طَريفٌ وتليدٌ
 وإنَّ عَرُوضَ الوصلِ بَني وبينها ، وإنَّ سَهْلَتَهُ بالمنى ، لكوودٌ
 وأفنيتُ عُمري بانتظاري وَعَدها ، وأبليتُ فيها الدهرَ وهو جَديد
 فليتَ وشاةَ الناسِ ، بيني وبينها ، يدوفُ لهم سُمًّا طَماطمٌ سودٌ
 وليتهمُ ، في كلِّ مُمَسَّى وشارقٍ ، تُضَاعَفُ أَكْبَالُ لهم وقبودٌ
 ويحسَبَ نِسوانٌ من الجهلِ أَتني إذا جئتُ ، إيتاهنَّ كنتُ أريدُ
 فأقسِمُ طَرفي بينهنَّ فيستوي ، وفي الصَّدْرِ بَوْنٌ بينهنَّ بعيدُ
 ألا ليتَ شِعري ، هل أبيتُ ليلَةً بوادي القُرى ؟ إني إذَنْ لَسعيدُ
 وهل أَهبطُنْ أرضاً تَظَلُّ رِياحُها لها بالثنايا القاوياتِ وثيدُ
 وهل ألقينَ سَعْدَى من الدهرِ مَرَّةً ، وما رثَ من حَبْلِ الصِّفاءِ جَديدُ
 وقد تَلَتَّقِي الأشتاتُ بعدَ تَفرُّقٍ ، وقد تُدرِكُ الحاجاتُ وهي بعَيدُ
 وهل أَزجُرُنْ حَرَفًا علاةً شِمِلَةً بِحَرَقٍ ، تُباريها سَوَاهِمُ قُودُ

١ طارف وتليد : حديث وقديم .

٢ العروض : الطريق في عرض الجبل في مضيق .

٣ يدوف : يخلط ويبل . الطماطم : الذين في لسانهم عجمة ، واحدهم ططم .

٤ الاكبال ، جمع كبل : وهو القيد العظيم .

٥ وادي القرى : موضع قرب المدينة كان يقيم فيه جميل وبثينة .

٦ الثنايا ، جمع الثنية : وهي العقبة أو طريقها . القاويات : الخاليات . الوثيد : الصوت العالي الشديد .

٧ الحرف : الناقة الضامرة . العلاة : الناقة المشرفة . الشملة : الناقة السريعة . الحرق : الأرض

الواسعة تتحرق فيها الرياح . السواهم : النوق الضواهر . القود : المذلة ، واحدها أقود وقوداء .

على ظهرِ مرهوبٍ ، كأنّ نشوزَهُ ، إذا جاز هلاكُ الطريق ، رُقوداً
 سبّني بعَيْنَيَّ جُودِرٍ وَسَطَ رَبْرَبٍ ، وصَدْرُ كِفائُورِ اللَّجَيْنِ ، وجيداً
 تزيّفُ كما زافتُ إلى سَلِفَاتِهَا مُبَاهِيَةً ، طَيِّ الوِشاحِ ، مَيُوداً^٣
 إذا جئتُها ، يوماً من الدهرِ ، زائراً ، تعرّضَ منقوضُ اليدينِ ، صدوداً
 يصدّ ويغضي عن هواي ، ويحتني ذنوباً عليها ، إنّه لعنود !
 فأصرِمُها خوفاً ، كأني مُجَانِبٌ ، ويغفلُ عَنَّا مرةً ، فنعود
 ومن يُعطِ في الدنيا قريناً كَمِثْلِهَا ، فذلكَ في عيشِ الحياةِ رشيدُ
 يموتُ الهوى مني إذا ما لقيتُها ، ويحيا ، إذا فارقتُها ، فيعود
 يقولون : جاهِدْ يا جميلُ ، بغزوةٍ ، وأَيَّ جِهَادٍ ، غيرهنّ ، أريد !
 لكلّ حديثٍ بينهنّ بشاشةٌ ، وكلّ قَتيلٍ عندهنّ شهيدُ
 وأحسنُ أبيامي ، وأبهجُ عَيْشَتِي ، إذا هيجَ بي يوماً وهُنّ قُعودُ
 تذكرتُ ليلي ، فالقوادُ عميدُ ، وشطّتْ نواها ، فالنزارُ بعيدُ

١ مرهوب : أي مكان أو طريق مرهوب . النشوز : جمع نشز : وهو المكان المرتفع . الهلاك : المنتجعون الذين ضلوا الطريق . رقود : نيام ، أي كأن النشوز قوم نيام .

٢ الفائور : الطست . اللجين : الفضة .

٣ تزيّف : تتبخّر في مشيتها . سلفاتها : نساء إخوة زوجها .

٤ المنقوض : من أصابته رعدة الحمى ، وهنا الرعدة من الغضب والغيرة ، والمراد به زوجها .

٥ قريناً : أي زوجة .

٦ العميد : العاشق الذي هذه العشق .

عَلِقْتُ الهوى منها وليداً ، فلم يزل
 فما ذُكِرَ الخُلاَنُ إلا ذُكِرَتْها ،
 إذا فُكِرَتْ قالت : قد ادركتُ ودّه ،
 فلو تُكشَفُ الأحشاءُ صودِفَ تحتها ،
 أَلَمْ تعلمي يا أمّ ذي الودّعِ أنّني
 فهل أَلْقَيْنَ فرداً بثينةَ ليلةً ،
 ومن كان في حيي بثينةَ يَمْتري ،
 إلى اليومِ يَنمي حبُّها ويزيد
 ولا البُخلُ إلا قلتُ سوف تجود
 وما ضرتني بُخلي ، فكيف أجود !
 لبثّنة ، حُبُّ طارفٍ وتليد
 أضاحكُ ذِكرِكم ، وأنتِ صلود ؟
 تجودُ لنا من ودّها ونجودُ ؟
 فبرقاءُ ذي ضالٍ عليّ شهيداً

-
- ١ الودع ، وتفتح الدال : خرز بيضن تخرج من البحر شقها كشق النواة تعلق في عنق الولد لدفع العين . صلود : بخيلة جداً .
 ٢ يمتري : يشك . البرقاء : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . الضال : شجر أو هو السدر البري ، وهو هنا موضع بعينه ذكره ياقوت واستشهد بشعر جميل ، وكان جميل وبثينة يجتمعان فيه .

أفي الناس أمثالي ؟

ألم تسألِ الدارَ القديمةَ : هل لها
سلي الركبَ : هل عُجنا لمغناكِ مرةً
وهل فاضتِ العينُ الشَّروقُ بمائها ،
ولاني لأستجري لكِ الطيرَ جاهِداً ،
ولاني لأستبكي ، إذا الركبُ غرّدوا
فهل تجزّينني أمٌ عمرو بودّها ،
وكلّ مُحِبٍّ لم يزدْ فوق جُهدِه ،
إذا ما دنتْ، زدتْ اشتياقاً، وإنْ نأتْ،
أبى القلبُ إلّا حُبَّ بَشَنَةٍ لم يردْ
تعلّقَ روحي روحها قبل خلقنا ،
فزادَ كما زدنا ، فأصبحَ نامياً ،
بأَمِّ حسينَ ، بعد عهدك ، من عهدٍ ؟
صُدورَ المطايا ، وهي مُوقرةٌ تخدي ؟
من اجلكِ ، حتى اخضل من دمعها بردي
لتجري يُمْنٍ من لقائكِ أو سَعْدٍ
بذكراكِ ، أن يحيا بكِ الركبُ إذ يحدي
فإنّ الذي أخفي بها فوقَ ما أبدي
وقد زِدتها في الحبِّ مني على الجُهدِ
جزّعتُ لنأي الدار منها وللبعد
سواها ، وحبّ القلبِ بَشَنَةً لا يُجدي
ومن بعد ما كنّا نطافاً وفي المهد
وليسَ إذا متنا بِمُتَقَصِّرِ العهد

١ أم حسين : كنية أخت بثينة ، أو هي أم الجسير على اختلاف روايات الأغاني . وكان جميل يشبها قبل أن يعشق بثينة . وكذلك بنت خالة بثينة تكنى أم حسين وكانت رفيقها ونجيتها .
ورواية البيت في الأغاني أم جسير .

٢ الجهد : الطاقة .

ولكنه باقى على كلِّ حالةٍ . وزائرُنا في ظلِّمةِ القبرِ واللحدِ
وما وجدتُ وجدى بها أمُّ واحدٍ . ولا وجد النَّهْدِيُّ وجدى على هند^١
ولا وجد العذريُّ عروءُ ، إذ قضى . كوجدى ، ولا من كان قبلى ولا بعدى^٢
على أنْ منْ قد ماتَ صادفَ راحةً ، وما لفؤادي من رَواحٍ ولا رُشدِ
يكاد فَبُضِضُ الماءِ يَتَخَدِشُ جلدَها ، إذا اغتسلتُ بالماءِ ، من رِقَّةِ الجِلْدِ^٣
وإني لمُشتاقٌ إلى رِيحِ جيبِها ، كما اشتاقَ لِإدريسَ^٤ إلى جَنَّةِ الخُلْدِ
لقد لآمني فيها أخٌ ذو قرابةٍ ، حبيبٌ إليه ، في مَلامتِهِ ، رُشدي
وقالَ : أفِقْ ، حتَّى متى أنتَ هائمٌ ، ببِئْسَ ، فيها قد تُعيدُ وقد تُبدي ؟
فقلتُ له : فيها قضى اللهُ ما ترى عليَّ ، وهَلْ فيما قضى اللهُ من ردٍّ ؟
فإن كان رُشدًا حُبُّها أو غَوايةً ، فقد جثَّتْ ما كان مِنِّي على عَمَدٍ
لقد لَجَّ مِثاقُ من اللهِ بيننا . وليس ، لمن لم يوفِ اللهُ ، من عَهْدِ
فلا وأَبيها الخَيرِ ، ما خُنتُ عَهدَها ، ولا لي عِلْمٌ بالذي فعلتُ بعدى

١ النهدي : هو عبد الله بن عجلان النهدي شاعر جاهلي ، وأحد المتيمنين من الشعراء الذين قتلهم الحب ، وكان يشبب بصاحبه هند .

٢ عروءة : هو عروءة بن حزام العذري أحد عشاق العرب المشهورين ، كان في زمن معاوية ، أحب ابنة عمه عفراء بنت مالك ، وتغزل بها في شعره ، ولم يزوج عمه فمات مسلولا .

٣ الفضيض : ما أنتشر من الماء إذا اغتسل به .

٤ الحبيب : طوق القميص . إدريس : هو اخنوخ في التوراة .

وما زادها الواشونَ إلا كرامةً عليّ ، وما زالت مودتها عندي
أفي الناس أمثالي أحبّ ، فحالفهم كحالي ، أم احببتُ من يسيهم وحدي؟
وהל هكذا يلقي المحبونَ مثلَ ما لقيتُ بها ، أم لم يجد أحدٌ وجدي؟
يفور ، إذا غارت ، فوادي ، وإن تكن بنجدٍ ، يهيم مني الفؤادُ إلى نجدٍ
أتيتُ بني سعدٍ صحيحاً مسلماً ، وكان سقام القلب حُبُّ بني سعد

١ يفور : يأتي الغور من تهامة .

مسحور

خليلي^١ . عوجا اليومَ حتى تُسَلِّما
 فإنكما إن عُجِتما لي ساعةً ،
 أَلِما بها ، ثمَّ اشفعا لي ، وسلِّما
 وبوحا بذكري عند بئنة^٢ . وانظرا
 فإن لم تكنْ تقطعْ قُوى الودِّ بيننا ،
 فسوف يُرى منها اشتياقٌ ولوعةٌ^٣
 وإن تكُ قد حالتُ عن العهدِ بَعَدنا ،
 فسوف يُرى منها صدودٌ ، ولم تكنْ .
 أَعوذ بكَ اللَّهُمَّ أن تَشحَطَ النّوى
 وجاور ، إذا ما متُّ ، بيني وبينها ،
 عدِمْتُكَ من حبٍّ ، أما منك راحةٌ ،
 وما بكَ عَنِّي من ثوانٍ ولا فترٍ ؟

١ النشر : الرائحة المنتشرة .

٢ تقطع : هكذا وردت بالتسكين ، وهذا قد يقع عندهم . القوى : طاقات الجبل .

٣ الغرب : الدمع ، أو انهلاله من العين .

٤ تشحط : تيمد .

ألا أيتها الحب المبرح . هل ترى
أجيدك . لا تبلى . وقد بلى الهوى .
هي البدر حسناً ، والنساء كواكب ،
لقد فضلت حسناً على الناس مثلما
عليها سلام الله من ذي صباية ،
وإنكما ، إن لم تعوجا ، فإنني
أبكي حمام الأيك من فقد إلفه ،
وما لي لا أبكي ، وفي الأيك نائح ،
يقولون : مسحورٌ يجنُّ بذكرها ،
وأقسم لا أنساك ما ذرَّ شارق ،
وما لاح نجم في السماء معلق ،
لقد شغفت نفسي ، بشين ، بذكركم ،
ذكرت مقامي ليلة البان قابضاً
فكيت ، ولم أمليكِ إليها صباية ،

أنا كلف يغري بحب كما أغري^١ ،
ولا ينتهي حبي بثينة للزجر
وشتان ما بين الكواكب والبدر^٢ !
على ألف شهر فضلت ليلة القدر
وصب معننى بالوساوس والفكر
سأصرف وجدي ، فأذا اليوم بالهجر
وأصبر ؟ ما لي عن بثينة من صبر !
وقد فارقتي شخنة الكشح والحصر^٣
وأقسم ما بي من جنون ولا سحر !
وما هب آل في ملمعة قفر^٤
وما أورك الأغصان من فنن الصدر
كما شغف المخمور ، يا بشن ، بالحر
على كف حوراء المدامع كالبدن
أهيم ، وفاض الدمع مني على نخري

١ كما أغري : أي كما أغري بالحب نفسي .

٢ الشخنة : الدقيقة الضامرة .

٣ الآل : ما يرى كالسراب . الملمعة : القلاة يلعب فيها السراب .

٤ الصدر : شجر النبق .

فيا ليت شعري هل أبيت ليلة
 تجسود علينا بالحديث ، وتارة
 فيا ليت ربي قد قضى ذاك مرة ،
 ولو سألت مني حياتي بذلتها ،
 مضى لي زمان ، لو أخير بينه ،
 لقلت : ذروني ساعة وبئينة
 مفلجة الأنياب ، لو أن ريقها
 إذا ما نظمت الشعر في غير ذكرها ،
 فلا أنعمت بعدي ، ولا عشت بعدها ،
 كليتنا ، حتى نرى ساطع الفجر ؛
 تجود علينا بالرضاب من الثغر
 فيعلم ربي عند ذلك ما شكري
 وجدت بها ، إن كان ذلك من أمري
 وبين حياتي خالداً آخر الدهر
 على غفلة الواشين ، ثم اقطعوا عمري
 يداوى به الموتى ، لقاموا به من القبر
 أبى ، وأبيها ، أن يطاوعني شعري
 ودامت لنا الدنيا إلى ملتقى الحشر

١ مفلجة الأنياب : إذا كانت أنيابها متباعدة غير مترابطة .

الغريم المحبوب

تخلفت بثينة عن لقائه مرة مخلفة وعدها فقال :

يا صاح ، عن بعض الملامة أقصِر ، إن المني للبقاء أمّ المسورِ
وكأن طارقها ، على علل الكرى ، والنجم ، وهنا ، قد دنا لتغورِ
يستاف ریح مدامة معجونة ، بذكي مسك ، أو سحيق العنبرِ
إني لأحفظ غيبكم ويسرتي ، لو تعلمين ، بصالح أن تذكرِ
ويكون يومٌ ، لا أرى لك مُرسلاً ، أو نلتقي فيه ، عليّ كأشهرِ
يا ليني ألقى المنيّة بغتةً ، إن كان يومٌ لقائكم لم يُقدّر
أو أستطيع تجلداً عن ذكركم ، فيفوق بعضُ صبابتي وتفكري
لو تعلمين بما أُجِن من الهوى ، لعدّرت ، أو لظلمت إن لم تعذري
والله ، ما للقلب ، من عليم بها ، غيرُ الظنونِ وغيرُ قولِ المُخبرِ
لا تحسبي أنّي هجرتك طائعاً ، حدّث ، لعمرك ، رائعٌ أن تهجري

١ المسور : اسم علم كناها به .

٢ العلل : الشرب مرة بعد مرة يتعلل به ، استعير للنعاس . الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه .

٣ يستاف : يشم .

ولتَبْكِينِي الْبَاكِياتُ ، وَإِنْ أَبُحْ .
يَوْمًا . بِسَرِّكَ مُعَلِّنًا ، لَمْ أُعْذَرْ
يَهْوَاكِ . مَا عَشْتُ . الْفَوَادُ ، فَإِنْ أُمْتُ .
يَتَّبِعْ صَدَائِي صَدَاكِ بَيْنَ الْأَقْبَرِ
إِنِّي إِلَيْكَ ، بِمَا وَعَدْتُ ، لَنَاظِرٌ
نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْكَثِيرِ
تُقْضَى الدِّيُونُ ، وَلَيْسَ يُنْجِزُ مَوْعِدًا
هَذَا الْغَرِيمُ لَنَا ، وَلَيْسَ بِمُعْسِرِ
مَا أَنْتِ ، وَالْوَعْدَ الَّذِي تَعْدِينَنِي ،
إِلَّا كِبْرَقِ سَحَابَةٍ لَمْ تُمَطِّرَا
قَلْبِي نَصَحْتُ لَهُ . فَرَدَّ نَصِيحَتِي ،
فَمَتَى هَجَرْتِيهِ ، فَمَنْ تَكَثَّرِي

١ تَكَثَّرِي : أَيِ مِنَ الْهَجَرِ .

وصايا الحبيبة

أُغَادِ . أَخِي ، مِنْ آلِ سَلَمَى ، فَمُبَكِّرُ؟
أَبِينُ لِي : أُغَادِي أَنْتَ ، أَمْ مَتَهَجِّرُ؟^١
فإِنَّكَ ، إِنْ لَا تَقْضِي ثِنِّي سَاعَةً ،
فَكُلَّ أَمْرِي ذِي حَاجَةٍ مُتَيْسِّرُ^٢
فإِنْ كُنْتَ قَدْ وَطَنْتَ نَفْسًا بِجَبْهَتِهَا ،
فَعِنْدَ ذَوِي الْأَهْوَاءِ وَرْدٌ وَمَصْدَرُ
وَأَخْرُ عَهْدِي لِي بِهَا يَوْمَ وَدَّعْتُ ،
وَلَا حَ لَهَا خَدٌّ مَلِيحٌ وَمَحْجِرُ
عَشِيَّةَ قَالَتْ : لَا تُضِيعَنَّ سَرَّنَا ،
إِذَا غَبَّتَ عَنَّا ، وَارَعَهُ حِينَ تُدِيرُ
وَطَرْفَكَ ، إِمَّا جِئْنَا ، فَاحْفَظْنَاهُ ،
فَذَيِّعُ الْهَوَى بَادٍ لِمَنْ يَتَبَصَّرُ
وَأَعْرِضْ إِذَا لَاقَيْتَ عَيْنًا تَخَافُهَا ،
وَذَاهِرٌ بِيْغُضٍ . إِنْ ذَلِكَ أُسْتَرُ
فإِنَّكَ إِنْ عَرَّضْتَ فِينَا مَقَالَةً ،
يَزِيدُ ، فِي الَّذِي قَدْ قُلْتَ ، وَاشٍ وَيُكْثَرُ
وَيَنْشُرُ سَرًّا فِي الصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ ،
يَعِزُّ عَلَيْنَا نَشْرُهُ حِينَ يُنْشَرُ
فَمَا زِلْتَ فِي إِعْمَالِ طَرْفِكَ نَحُونَا ،
إِذَا جِئْتَ ، حَتَّى كَادَ حُبُّكَ يَظْهَرُ
لَأَهْلِيَّ ، حَتَّى لَا مَنِي كُلُّ نَاصِحٍ .
وَلَا لِي لَأَعْصِي نَهْيَهُمْ حِينَ أُزْجَرُ
وَمَا قُلْتُ هَذَا ، فَاعْلَمَنَّ ، تَجَنَّبًا
لَصَرْمٍ ، وَلَا هَذَا بِنَا عَنْكَ يَقْصُرُ

١ المتهجر : السائر في الهجرة وهي شدة الحر ونصف النهار .

٢ ثني ساعة : مدة ساعة .

ولكنني ، أهلي فداؤك ، أتقي
وأخشي بني عمي عليك ، وإنما
وأنت امرؤ من أهل نجد ، وأهلنا
غريب ، إذا ما جئت طالب حاجة ،
وقد حدثوا أننا التقينا على هوى ،
فقلت لها : يا بئن ، أوصيت حافظاً ،
فإن تك أم الجهم تشكي ملامة
سأمنح طرفي ، حين ألقاك ، غيركم ،
أقلب طرفي في السماء ، لعله
وأكني بأسماء سواك ، وأتقي
فكم قد رأينا واجداً بحبيبة ،

عليك عيون الكاشحين ، وأحذر
يخاف ويستقي عرضه المتفكر
تهام ، فما النجدي والمتفور ١
وحولي أعداء ، وأنت مشهر
فكلهم من حملي الغيظ موقر ٢
وكل امرئ ، لم يرعه الله ، معور ٣
إلي ، فما ألقى من اللوم أكثر
لكيما يروا أن الهوى حيث أنظر
يوافق طرفي طرفكم حين ينظر
زيارتكم ، والحب لا يتغير
إذا خاف ، يبدي بغضه حين يظهر

١ تهام : تهامي أي من تهامة . المتفور : من يأتي الغور ويراد به تهامة .

٢ موقر : مثقل بحمله .

٣ معور : أي مكنة مقاتله ومواضع الخلل فيه .

٤ أم الجهم : كنى بها عن بثينة .

فيا رب حبيبي إليها

أهاجلكَ ، أم لا ، بالمداخلِ مَرَبَعٌ ، ودارٌ . بأجرعِ الغديرينِ ، بَلَقَعُ¹
ديارٌ لَسَلَمَى ، إذ نَحَلْ بها معاً ، وإذ نحن منها بالمودّةِ نَطْمَعُ
وإن تكُ قد شطَّتْ نواها ودارُها ، فإنَّ النوى مما تُشِيتَ وتَجْمَعُ²
إلى اللهِ أَشْكُو ، لا إلى الناسِ . حَبَّها ، ولا بُدَّ من شكوى حبيبٍ يُرَوِّعُ
ألا تَتَّقِينَ اللهَ فيمَن قَتَلْتَهُ ، فأَمْسِ إليكم خاشعاً يتَضَرَّعُ ؟
فإنَّ يَكُ جُثْماني بأَرْضٍ سِوَاكُمْ ، فإنَّ فَوادي عندكِ الدهرَ أَجْمَعُ
إذا قَلْتُ هذا ، حينَ أَسْلُو وأَجْتَرِي على هجرها ، ظَلَّتْ لها النفسُ تُشْفَعُ
ألا تَتَّقِينَ اللهَ في قَتْلِ عاشِقٍ ، له كَبِيدٌ حَرَّى عليكِ تَقْطَعُ
غريبٌ ، مَشُوقٌ ، مَوْلَعٌ بِأَدْكارِكُمْ ، وكلُّ غريبِ الدارِ بالشوقِ مُوَلِّعُ
فأَصْبَحْتُ ، مما أحدث الدهرُ ، مَوْجِعاً ، وكنتُ لربِّ الدهرِ لا أَتَخَشَّعُ
فيا ربَّ حَبِيبِي إليها . وأَعْطِنِي المودّةَ منها ، أَنْتَ تُعْطِي وتَمْنَعُ !

١ المداخل : هضب منطلق بأرض بيضاء ، يشرف على الريان ، والريان : جبل بنجد في ديار بني طي . لا يزال يسيل منه الماء . الأجرع : جمع جرع بالتحريك ، وهو الكتيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

٢ شطت : بعدت .

وإلاّ فصبرني ، وإن كنتُ كارهاً ، فلأتي بها ، يا ذا المعارج ، مولعاً
 وإن رمتُ نفسي كيف آتي لصرميها ، ورمتُ صدوداً ، ظلتِ العينُ تدمع
 جزعتُ حذارَ البين يومَ تحملوا ، ومن كان مثلي ، يا بُشينةُ ، يجزع
 تمتعتُ منها ، يومَ بانوا ، بنظرةٍ ، وهل عاشقٌ ، من نظرةٍ ، يتمتع ؟
 كفى حزنًا للمرء ما عاشَ أنه ، بينَ حبيبٍ ، لا يزالُ برُوع
 فواحزنا ! لو ينفعُ الحزنُ أهله ، وواجزعاً ! لو كان للنفسِ مجزع
 فأَيُّ فؤادٍ لا يذُوبُ لما أرى ، وأيُّ عيونٍ لا تجود فتدمع ؟

١ ذو المعارج : من أسماء الله تعالى ، أي المصاعد والدرج ، والمراد معارج الملائكة إلى السماء ،
 وقيل إنها الفواضل العالية .

عاشق محارب

أَمِنْ مَنْزِلٍ قَفَرٍ تَعَفَّتْ رُسُومُهُ شَمَالَ تَغَادِيهِ . وَنَكَبَاءُ حَرَجَفُ^١
فَأَصْبَحَ قَفْرًا ، بعدما كَانَ أَهْلًا . وَجُمْلُ الْمُنَى تَشْتُو بِهِ وَتُصَيِّفُ^٢
ظَلَلْتُ ، وَمُسْتَنٌّ مِنْ الدَّمْعِ هَامِلٌ مِنْ الْعَيْنِ ، لَمَّا عُمِجْتُ بِالْدارِ ، يَتَرَفُ^٣
أُمْنُصِفَتِي جُمْلٌ ، فَتَعْدِلَ بَيْنَا . إِذَا حَكَمْتَ ، وَالْحَاكِمُ الْعَدْلُ يُنْصِفُ
تَعَلَّقْتُهَا ، وَالْجِسْمُ مِنْهُ مُصَحَّحٌ ، فَمَا زَالَ يَنْمِي حُبُّ جُمْلٍ . وَأَضْعُفُ
إِلَى الْيَوْمِ ، حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَشَفَّتِي . وَأَنْكَرْتُ مِنْ نَفْسِي الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ
قَنَاءَةً مِنَ الْمُرَانِ مَا فَوْقَ حَقْوِهَا . وَمَا تَحْتَهُ مِنْهَا نَقًّا يَتَقَصِّفُ^٤
لَهَا مُقْلَتَا رِيْمٍ ، وَجَيْدٌ جِدَايَةِ^٥ . وَكَشَعُ كَطِيِّ السَّابِرِيَّةِ أَهْيَفُهُ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ أَهْلَهَا ، حِينَ أَقْبَلُوا ، وَجَالُوا عَلَيْنَا بِالسِّيُوفِ ، وَطَوَّفُوا
وَقَالُوا : جَمِيلٌ بَاتَ فِي الْحَيِّ عِنْدَهَا ، وَقَدْ جَرَدُوا أَسْيَافَهُمْ ثُمَّ وَقَفُوا

١ تعفت : محت . النكباء : الريح التي وقعت بين مهب ريحين ، أي بين الصبا والشمال . حرجف : باردة شديدة الهبوب .

٢ جمل : علم امرأة كنى به عن بثينة .

٣ مستن : منصوب .

٤ المران : الرماح اللدنة ، ويريد بالقناة انتصاب قامتها . الحقو : الكشح أو معقد الازار . النقا : الكتيب من الرمل . والمراد به ردفها .

٥ الجداية : الظبية . السابرية : الثياب الرقيقة .

وفي البيتِ لَيْثُ الغابِ ، لولا مخافةُ
هممتُ ، وقد كادتِ مراراً تطلعتُ ،
وما سرتني غيرُ الذي كان منهمُ
فكم مُرتَجِجُ أُمراً أُتِيحَ له الردى ،
أإن هَتَفَتْ وَرَقَاءُ ظِلَّتْ ، سَفَاهَةٌ ،
فلو كان لي بالصَّرمِ ، يا صاحِ ، طاقةٌ ،
لها في سَوَادِ القلبِ بالحبِّ مَنَعَةٌ ،
وما ذَكَرْتُكَ النفسُ ، يا بَئِنَ ، مرةً
وإلاّ اعترنني زَفَرَةٌ واستِكانَةٌ ،
وما استَطرَفَتْ نفسي حديثاً لُحْلَةً ،
وبين الصفا والمَروَتَيْنِ ذَكَرْتُكُمْ
وعند طَوَافِي قد ذَكَرْتُكَ مَرَّةً ،
على نفسِ جُملٍ ، والإلهِ ، لأُرْعِفُوا^١
إلى حربهم ، نفسي ، وفي الكفِّ مُرْهَقُ^٢
ومني ، وقد جاؤوا إليّ وأوجفوا^٣
ومن خائفٍ لم يَتَقِصْهُ التَّخَوُّفُ
تُبْكِي ، على جُملٍ ، لورقاء تَهْتِفُ؟^٤
صَرَمْتُ ، ولكني عن الصَّرمِ أضعفُ
هي الموتُ ، أو كادت على الموت تُشْرِفُ
من الدهرِ ، إلاّ كادت النفسُ تُتَلَفُ
وجادَ لها سَجَلٌ من الدمعِ يَدْرِفُ^٥
أَسَرَّ به ، إلاّ حديثُكَ أَطْصَرَفُ
بمُخْتَلَفٍ ، والناسِ سَاعٍ ومُوجِفُ^٦
هي الموتُ ، بل كادت على الموت تُضَعَفُ^٦

١ لأرْعِفُوا : أي لسبقوا إلى القتال . يقال أرْعَفَه : يعني أَعْجَلَه ، أي سَبَقَه واستَحَثَه .

٢ أوجفوا : أسرعوا .

٣ الورقاء : الحمامة .

٤ السجل : الدلو العظيمة مملوءة ، وملء الدلو .

٥ الصفا : من مشاعر مكة وكذلك المروة ، وهما جبلا المسمى ، وإليهما ينتهي سعي الحاج .

الموجف : المسرع .

٦ الطواف : أي الطواف حول الكعبة . تضعف : تكثر .

زائر مغامر

فاجأ أهل بيثينة جميلاً وبثينة مجتمعين
في خلوة ، فلم تزل تناشده حتى
انصرف . وقال في ذلك :

ألم تسأل الربعَ الخلاءَ فيَنطِيقُ ، وهلْ تخبرُكَ اليومَ ببداءِ سَمَلتق^١؟
وقفتُ بها حتى تجلتْ عَمائِي ، وملَّ الوقوفَ الأرحيَّ المنوق^٢؟
بمختلفِ الأرواحِ ، بين سُوَيْقَةٍ وأحدبَ ، كادت بعد عهدِكَ تَخْلُقُ^٣؟
أضرتُ بها النكباءُ كلَّ عَشِيَةٍ ، ونَفَخُ الصَّبَا ، والواہلُ المُتَبَعُ^٤؟
وقال خليلي : إنَّ ذا لَصَبَابَةٍ ، ألا تَزجُرُ القلبَ اللّجوجَ فيُلحِقَ ؟
تَعَزَّ ، وإنْ كانتْ عليكَ كَرِيمَةٌ . لعلَّكَ من رِقَ ، لبِشْنَةٍ ، تَعْتِيقُ^٥؟
فقلتُ له : إنَّ البِعادَ لَشائِقي ، وبعضُ بِعادِ البَينِ والنَّأيِ أشوقُ
لعلَّكَ محزونٌ ، ومُبدٍ صَبَابَةٍ ، ومُظهِرُ شَكوى من أناسٍ تفرّقوا

١ سملق : قاع صفصف .

٢ عمائي : غوايتي ولحاجي . الأرحبي : النجيب من الإبل ، منسوب إلى أرحب ، وهو فعل أو مكان . المنوق : المذلل من الجمال .

٣ الأرواح : الرياح . سويقة : موضع ببطن مكة . الأحدب : جبل لبني فزارة بمكة . تخلق : تبلى .

٤ النكباء : الريح تهب بين ريحين . الصبا : الريح الشرقية . المتبعق : المتفجر من المطر .

وما يبتغي منّي عُدّةٌ تعاقدا ، ومن جلدِ جاموسٍ سمينٍ مُطَرَّقٍ^١ ،
وأبيضَ من ماءِ الحديدِ مُهَنَّدٍ ، له بعد إخلاص الضريبةِ رَوْنَقٌ^٢ ،
إذا ما علتُ نَشْرًا تُمَدُّ زِمَامُهَا ، كما امتدَّ جلدُ الأصفِ المَرَقَقِ^٣ ،
وبيضٍ غَرِيرَاتٍ تُشَنِّي خُصُورَهَا ، إذا قُمْنَ ، أعجازُ ثِقَالٍ وأسُوقُ^٤ ،
غَرَائِرَ ، لم يَعْرِفْنَ بؤسَ معيشَةٍ ، يُجَنِّ بهنَّ النَاطِرُ الْمُتَنَوِّقُ^٥ ،
وغلغلَتْ من وجدٍ إليهنَّ ، بعدما سَبَرَتِ ، وأحشائي من الخوفِ تَخْفِقُ^٦ ،
معِي صَارْمٌ قد أخلصَ القَيْنُ صَقْلَهُ^٧ ، له ، حينَ أغشِيهِ الضريبةَ ، رَوْنَقٌ^٨ ،
فلولا احتيالي ، ضِيقُنْ ذَرَعًا بَزَائِرَ ، به من صَبَابَاتٍ إليهنَّ أُولُقُ^٩ ،
تَسُوكُ بِقُضْبَانِ الْأَرَاكِ مُفَلَّجًا ، يُشَعِّشُ فِيهِ الْفَارِسِيُّ الْمُرُوقُ^{١٠} ،

- ١ المطرق : صفة للمجن الذي يطرق بفضه على بعض ، يقول : إن مجنه من جلد جاموس سمين مطرق ،
فما يبتغي الأعداء منه ؟ وفي البيت إقواء .
٢ الضريبة : حد السيف . وإخلاص الضريبة : أي ما أخلصته النار من حده ، أي استخلصته .
٣ علت : أي ناقته . النشز : المكان المرتفع . الأصف : الذي يتمدح بما ليس فيه إعجاباً وتكبراً .
المترقق : المتحرك بجيء ويذهب .
٤ الغريرات : الشابات اللواتي لم يجربن الأمور . أسوق : جمع ساق .
٥ المتنوق : المجدد الذي يتقن عمله ، كالمثاقن .
٦ القين : الحداد . أغشيه : أجمله يأتي .
٧ الأولق : الجنون .
٨ تسوك : تظهر أسنانها . الأراك : شجر . تتخذ منه المساويك . المفلاج : الثغر إذا كانت الأسنان
منفرجة غير متراكبة . يشعشع : يمزج ، يقال للخمر إذا مزجت بالماء . الفارسي : من أسباء
الخمير ، وكأنه نسب إلى بلاد فارس .

أَبْشَنَةُ . لَلْوَصْلِ ، الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا .
نَضًا مِثْلَمَا يَنْضُو الْحِضَابُ ، فَيَخْلُقُ
أَبْشَنَةُ ، مَا تَنَائِنَ إِلَّا كَأَنْتِي
بَنَجْمِ الثَّرِيَا ، مَا نَأَيْتِ ، مُعَلَّقِ

١ نضًا : ذهب لونه . يخلق : يبل .

انها نعلي

لقد فَرِحَ الواشون أن صَرَمَتْ حَبْلِي بُشِينَةٌ ، أو أبدأتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
يقولون : مَهْلًا ، يا جَمِيلُ ، وإِنِّي لَأَقْسِمُ مَا لِي عَنْ بُشِينَةٍ مِنْ مَهْلٍ
أَحِلِمًا ؟ فقبلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ ، أَمْ أَخْشَى ؟ فقبلَ الْيَوْمِ أُوْعِدْتُ بِالْقَتْلِ
لقد أَنْكَحُوا جَهْلًا نُبَيْهَا ظَعِينَةً ، لَطِيفَةَ طَيِّ الْكَشْحِ ، ذَاتَ شَوَى خَدَلٍ
وكم قَدْ رَأَيْنَا سَاعِيًا بَنِيمَةً لآخرَ ، لم يَعْمِدْ بِكَفٍّ وَلَا رِجْلٍ
إِذَا مَا تَرَاَجَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا ، جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي بُشِينَةً بِالْكُحْلِ
ولو تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِي مَا طَلَبْتُهَا ، وَلَكِنْ طَلَابِيهَا لَمَّا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
فيا وَيْحَ نَفْسِي ! حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بِهَا وَيَا وَيْحَ أَهْلِي ! مَا أَصِيبُ بِهِ أَهْلِي
وَقَالَتْ لِأَتْرَابِهَا ، لَا زَعَانِفٍ قِصَارٍ ، وَلَا كُوسَ الثَّنَائِيَا ، وَلَا تُعَلِّ
إِذَا حَمَيْتُ شَمْسُ النَّهَارِ ، اتَّقَيْنَهَا بِأَكْسِيَةِ الدِّيَابِجِ ، وَالْحَزَّ ذِي الْحَمَلِ
تَدَاعَيْنَ ، فَاسْتَعْجَمْنَ مَشْيًا بِذِي الْغَضَا ، دَيْبَ الْقَطَا الْكُدْرِيِّ فِي الدَّمِثِ السَّهْلِ

- ١ فيه : زوج بُشِينَةٍ . ظَعِينَةٍ : أَيِ امْرَأَةٍ . الشَوَى : الْأَطْرَافُ . الْخَدَلُ : الْمَتْلَى .
٢ الزَعَانِفُ ، الْوَاحِدَةُ زَعْفَنَةٌ . وَهِيَ الْقَصِيرَةُ . الْكُوسُ ، جَمْعُ كَسَاءٍ : أَيِ قَصِيرَةِ الْأَسْنَانِ صَغِيرَتِهَا .
الْعَلَّ ، جَمْعُ ثَعْلَاءَ : وَهِيَ الَّتِي فِي أَسْنَانِهَا زِيَادَةُ سَنَ ، أَوْ دُخُولُ سَنٍ تَحْتَ أُخْرَى .
٣ اسْتَعْجَمْنَ : عَجَزْنَ عَنِ الْكَلَامِ وَسَكُنْنَ بَعْدَمَا تَدَاعَيْنَ . الْغَضَا : مِنْ شَجَرِ الْبَادِيَةِ يَتَخَذُ وَقُودًا
لِحُودَتِهِ .

إذا ارتعن ، أو فزعن ، فَمِنْ حَوَالِهَا ، قِيَامَ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي جَانِبِ الضَّحْلِ^١
 أَرَانِي لَا أَلْقَى بُثِينَةً مَرَّةً ، مِنْ الدَّهْرِ ، إِلَّا خَائِفًا ، أَوْ عَلَى رَحْلِ
 خَلِيلٍ ، فِيمَا عِشْتُمَا ، هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى ، مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ ، قَبْلِي ؟
 أَبَيْتَ ، مَعَ الْهَلَكَ ، ضَيْفًا لِأَهْلِهَا ، وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ، ذُوو فَضْلٍ^٢
 أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي حِيلَ دُونَهُ ، بَنَا أَنْتَ مِنْ بَيْتٍ ، وَأَهْلُكَ مِنْ أَهْلِ^٣
 بَنَا أَنْتَ مِنْ بَيْتٍ ، وَحَوْلَكَ لَذَّةٌ ، وَظِلُّكَ لَوْ يُسْطَاعُ بِالْبَارِدِ السَّهْلِ
 ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ : فَبَيْتٌ أَحْبَبُهُ ، وَبَيْتَانِ لَيْسَا مِنْ هَوَايَ وَلَا شَكْلِي
 كِلَانَا بَكَى ، أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةً ، إِلَى إِلْفِهِ ، وَاسْتَعْجَلْتُ عِبْرَةً قَبْلِي
 أَعَاذَلْتِي أَكْثَرُ ، جَهْلًا ، مِنْ الْعَذْلِ ، عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ مِنْ مَلَامِي وَمِنْ عَذْلِي
 نَأَيْتُ فَلَمْ يُحْدِثْ لِي النَّأْيُ سُلُوءًا ، وَلَمْ أَلَفْ طَوْلَ النَّأْيِ عَنْ خُلَّةٍ يُسْلِي
 وَلَسْتُ عَلَى بَذْلِ الصَّفَاءِ هَوِيْتُهَا ، وَلَكِنْ سَبَبْتَنِي بِالْإِدْلَالِ وَبِالْبُخْلِ
 أَلَا لَا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْمَةً ، عَلَى حَدَّثَانِ الدَّهْرِ ، مَنِي ، وَمَنْ جُمْلِ
 فَإِنْ وَجَدْتَ نَعْلٌ بِأَرْضٍ مَضِلَّةٍ ، مِنْ الْأَرْضِ ، يَوْمًا ، فَاعْلَمِي أَنَّهَا نَعْلِي !^٤

١ بنات الماء : الطيور التي تلازم الماء . الضحل : الماء القليل .

٢ الهلاك : الذين يتناجون الناس ابتغاء معروفهم .

٣ بنا : الباء للتفدية .

٤ أرض مضلة : أي يضل فيها .

قاضي الهوى

وقلتُ لها : اعتَلَّتْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ، وشرَّ الناسِ ذو العِلَلِ الْبَخِيلُ^١
 ففَاتِنِي إِلَى حَكَمٍ مِنْ أَهْلِي وَأَهْلِكَ ، لَا يَحِيفُ وَلَا يَمِيلُ^٢
 فقالت : أَبْتَغِي حَكَمًا مِنْ أَهْلِي ؟ وَلَا يَدْرِي بِنَا الْوَاشِي الْمَحُولُ^٣
 فَوَلَّيْنَا الْحُكُومَةَ ذَا سُجُوفٍ ، أَخَا دُنْيَا ، لَهُ طَرَفٌ كَلِيلُ^٤
 فَقَلْنَا : مَا قَضَيْتَ بِهِ رَضِينَا ، وَأَنْتَ بِمَا قَضَيْتَ بِهِ كَفِيلُ^٥
 قَضَاؤُكَ نَافِذٌ ، فَاحْكُمْ عَلَيْنَا ، بِمَا تَهْوَى ، وَرَأْيُكَ لَا يَفِيلُ^٦
 وقلتُ له : قَتَلْتُ بِغَيْرِ جُرْمٍ . وَغِيبُ الظَّلَمِ مَرْتَعُهُ وَبِيلُ
 فَسَلْ هَذَا : مَتَى تَقْضِي دِيُونِي ، وَهَلْ يَقْضِيكَ ذُو الْعِلَلِ الْمَطُولُ ؟
 فقالت : إِنَّ ذَا كَذِبٍ وَبُطْلٍ ، وَشَرٍّ ، مِنْ خُصُومَتِهِ ، طَوِيلُ
 أَقْتَلُهُ ؟ وَمَا لِي مِنْ سِلَاحٍ ، وَمَا لِي ، لَوْ أَقَاتِلُهُ ، حَوِيلُ

١ اعتلت : أي تجتبت علي وقدمت العلل أي الأسباب ، بغير ذنب مني .

٢ فاتيني إلى حكم : أي خاصميني إلى حكم يفتي بيننا . يحيف : يحجور .

٣ المحول : الذي يكيد بسماياته .

٤ ذا سجوف : ذا أستار ، أي امرأة . أخا دنيا : أي قرابته دانية .

٥ يفيل الرأي : يخطئ . ويضعف .

٦ الحويل : القدرة .

ولم آخُذْ له مَالاً ، فَيُلْفَى له دَيْنٌ عليّ ، كما يقول
 وعند أميرنا حُكْمٌ وَعَدْلٌ ، ورأيي ، بعد ذَلِكُمْ ، أصِيل
 فقال أميرنا : هاتوا شهوداً ، فقلتُ : شهيدُنا الملكُ الجليل
 فقال : يَمِينُهَا ، وبذاك أقضي ، وكلّ قضائه حسنٌ جميل
 فبِتُّ حَلْفَةً ، ما لي لديها نَقِيرٌ ، أدعيه ، ولا فتيلٌ
 فقلتُ لها وقد غلب التعزّي : أما يُقضى لنا ، يا بَتْن ، سُول ؟
 فقالت ثمّ زجت حاجبيها : أطلت ، ولست في شيءٍ تُطِيلُ^١
 فلا يَجِدَنَّكَ الأعداءُ عندي ، فَتَشْكَلَنِي وإياكَ الشُّكُول !

١ بتت : قطعت . النقيير : الشيء الحقيق . الفتيل : الشيء .

٢ زجت حاجبيها : قوسهما ، ولم نجده في المعاجم .

يأس العاشق

لامه أبوه على تماديه في حب بثينة ، فقام وهو
يبكي ، فبكى أبوه ومن حضر جزءاً لما رأوا
منه . فقال في ذلك :

ألا من لقلبٍ لا يملّ فيدهلُّ ؛ أفقُّ ، فالتعزّي ، عن بُثينة ، أجملُ
سلا كلُّ ذي ودٍّ ، علِمْتُ مكانه ، وأنتَ بها حتى المماتِ موكلُ
فما هكذا أُحِبَّتْ من كان قبلها ، ولا هكذا ، فيما مضى ، كنتَ تفعلُ
أعن ظعنِ الحَيِّ الألى كنتَ تسألُ ، بليلٍ ، فردّوا غيرَهم ، وتحملوا^١
فأمسوا وهم أهلُ الديار ، وأصبحوا ، ومن أهلِها الغِربانُ بالدارِ تحجّلُ^٢
على حين ولّى الأمرُ عَنّا ، وأسمحتْ عصا البينِ ، وانبثَّ الرجاءُ المؤمّلُ^٣
وقد أبقت الأيَّامُ مني ، على العِدَى ، حُساماً ، إذا مسَّ الضريبةَ ، بفَصِلُ^٤
ولستُ كمن إن سيمَ ضيماً أطاعه ، ولا كامريءٍ ، إن عضَّ الدهرُ ينكلُ
لعمري ، لقد أبدى لي البينُ صَفْحَه ، وبينَ لي ما شئتُ ، لو كنتُ أعقِلُ^٥

١ العير : القافلة . تحملوا : ارتحلوا .

٢ تحجل الغريبان : تنزوا في مشيتها .

٣ أسمحت : أطاعت ولانت بعد استصعاب . انبث : انقطع .

٤ الضريبة : الرجل المضروب .

٥ الصفح : الجانب .

وَآخِرُ عَهْدِي ، مِنْ بُثِينَةٍ ، نَظْرَةٌ ،
 فَللهِ عَيْنًا مِنْ رَأَى مِثْلَ حَاجَةٍ ،
 وَإِنِّي لَأَسْتَبْكِي ، إِذَا ذُكِرَ الْهَوَى ،
 نَظَرْتُ بِبِشْرِ نَظْرَةٍ ظَلَمْتُ أَمْتَرِي
 إِذَا مَا كَرَرْتُ الطَّرْفَ نَحْوَكَ رَدَّهْ ،
 فَيَا قَلْبُ ، دَعِ ذِكْرِي بُثِينَةً ، إِنَّهَا ،
 قَنَاءٌ مِنَ الْمُرَّانِ مَا فَوْقَ حَقْوِهَا ،
 وَقَدْ أَبَاسَتْ مِنْ نَيْلِهَا ، وَنَجَّهَمَتْ ،
 وَإِلَّا فَسَلَهَا نَائِلًا قَبْلَ بَيْنِهَا ،
 وَكَيْفَ تُرْجِي وَصَلَهَا ، بَعْدَ بَعْدِهَا ،
 وَإِنِّي أَحْبَبْتُ قَدْ حِيلَ دَوْنَهَا ،
 فِي الْيَأْسِ مَا يُسْلِي ، فِي النَّاسِ خُلَّةٌ ،
 بَدَا كَلَفٌ مِنِّي بِهَا ، فَتَنَاقَلْتُ ،
 هَبْنِي بَرِيئًا نَيْلَتِهِ بِظُلَامَةٍ ،
 عَلَى مَوْقِفٍ ، كَادَتْ مِنَ الْبَيْنِ تَقْتُلُ
 كَسَمْتُكِهَا ، وَالنَّفْسُ مِنْهَا تَمْلِكُ
 إِلَيْكَ ، وَإِنِّي ، مِنْ هَوَاكَ ، لِأَوْجِلِ
 بِهَا عِبْرَةٌ ، وَالْعَيْنُ بِالدَّمْعِ تُكْحَلُ
 مِنَ الْبُعْدِ ، فَيَاضٌ مِنَ الدَّمْعِ يَهْمِلُ
 وَإِنْ كُنْتَ تَهَوَّاهَا ، تَضَنُّ وَتَبْخَلُ
 وَمَا تَحْتَهُ مِنْهَا نَقًا يَتَهِيلُ
 وَلِلْيَأْسِ ، إِنْ لَمْ يَقْدَرِ النَّيْلُ ، أَمْثَلُ
 وَأَبْجَلُ بِهَا مَسْوُولَةٌ حِينَ تُسَالُ
 وَقَدْ جُنْدَ حَيْلُ الْوَصْلِ مِمَّنْ تُؤْمَلُ
 فَكُنْ حَازِمًا ، وَالْحَازِمُ الْمُتَحَوِّلُ
 فِي الْأَرْضِ ، عَمَّنْ لَا يُوَاقِلُكَ ، مَعَزِلُ
 وَمَا لَا يُرَى مِنْ غَائِبِ الْوَجْدِ أَفْضَلُ
 عَفَاها لَكُمْ ، أَوْ مُذْنَبًا يَتَنَصَّلُ !

١ أمتري : استخرج .

٢ المران : الرماح . حقوها : كشحها ، والمراد بالقناة انتصاب قائمتها . النقا : الكتيب ، والمراد به ردفها . يتهيل : يتحرك ويترجح .

٣ أمثل : أفضل .

٤ النائل : العطاء .

٥ الخلة : الصداقة لا خلل فيها ، والصديق والأصدقاء .

سليبي مالي !

عرف الرجال من أهل بئنة أنهما يجتمعان على خلاه ، فرصدوه
بجماعة ، فجاء على ناقته الصبياء حتى وقف على بئنة وأخبا أم
الحسين ، فوثبوا عليه ، فرماهم ونجسا سليماً وقال :

حلفتُ برَبِّ الراقصاتِ إلى مِنى ، هُوِيَّ القَطَا يَجْتَزْنَ بطنَ دفينِ
لقد ظنَّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً سَلِمَى . ولا أمَّ الحُسَيْنِ الحَيْنِ
فليتَ رجالاً فيكَ قد نَدَرُوا دمي ، وهَمَّوا بقتلي ، يا بُشَيْنَ ، لقُوني !
إذا ما رأوني طالِعاً من ثَنِيَّةٍ ، يقولون : من هذا ؟ وقد عرفوني
يقولونَ لي : أهلاً وسهلاً ومرحباً ! ولو ظَفَرُوا بي خالِياً ، قتلوني
وكيف ، ولا تُوفي دماؤهم دمي . ولا مألهم ذو ندهةٍ فيدوني
وغرَّ الثنايا ، من رَبيعةٍ ، أعرَضتْ حروبُ مَعَدٍّ دونهنَّ ودوني
تَحَمَلْنَ من ماءِ الثُّديِّ كأنما تَحَمَلْنَ من مُرْسَى ثِقَالٍ سَفِينِ

١ الراقصات : الابل التي تسير خبيلاً . منى : من مناسك الحج قرب مكة . هوي القطا : أي تهوي
هوي القطا . دفين : موضع .

٢ الثنية : العقبة في الجبل ، وطلاع الثنايا كناية عن يقدم على مشاق الأمور .

٣ وعر الثنايا : أي ورب نساء بيض الأسنان . من بني ربيعة : قبيلة من معد بن عدنان . أعرضت :
أي عرضت ، والمراد عرضت دوني ودونهن الحروب .

٤ تحملن : رحلن . الثدي : قيل إنه موضع ينجد . وقال ياقوت : « وأنا أحسبه بالشام لأن جميلاً
ذكره وكانت منازلها بالشام » . وأورد البيت . شبه هواجهن بسفن ثقال خرجت من مرساها .

كأنّ الخُدُورَ أُولِجَتْ، في ظِلَالِهَا ، ظِبَاءَ الْمَلَا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُونٍ^١
 إلى رُجُجِ الأعْجَازِ، حُورٍ نَمَى بها ، مع العِتْقِ والأَحْسَابِ، صَالِحُ دِينٍ^٢
 يبادِرْنَ أَبْوَابَ الْحِجَالِ كَمَا مَشَى حَمَامٌ ضُحَّى فِي أَيْكَةٍ ، وَفَنُونَ^٣
 سَدَدَنَ خِصَاصَ الْحَيْمِ، لَمَّا دَخَلْنَهُ ، بِكَلِّ لَبَانٍ وَاضِحٍ ، وَجَبِينَ^٤
 دَعَوْتُ أَبَا عَمْرٍو، فَصَدَّقَ نَظْرَتِي ، وَمَا إِنْ يَرَاهُنَّ الْبَصِيرُ لَحِينٍ
 وَأَعْرَضَ رُكْنٌ مِنْ أَحَامِيرَ دُونِهِمْ ، كَأَنَّ ذُرَاهُ لُقَعَتْ بِسَدِينٍ^٥
 قَرَضْنَ، شَمَالًا، ذَا الْعُشِيرَةِ كُلِّهَا ، وَذَاتَ الْيَمِينِ، الْبُرْقَ بَرْقَ هَجِينٍ^٦
 وَأَصْعَدْنَ فِي سَرَاءَ، حَتَّى إِذَا انْتَحَتْ شَمَالًا ، نَحَا حَادِيهِمْ لِيَمِينٍ^٧
 وَقَالَ خَلِيلِي : طَالَعَاتٌ مِنَ الصَّفَا ، فَقُلْتُ : تَأَمَّلْ، لَسْنٌ حَيْثُ تُرِينِي^٨

١ الملا : الفلاة . وقوله : ليست بذات قرون ، لأنهن نساء .

٢ رجح الاعجاز : ثقال الأرداف . العتق : الكرم والجمال والشرف ، والحرية .

٣ الحجال ، جمع حجلة : وهي القبة والستر . الأيكة : الشجر الملتف . الفنون : النصوص ، وهذا الجمع لم تذكره المعاجم ، والمعروف أن الفن يجمع على أفنان بحسب القياس .

٤ الخصاص : كل خلل وخرق . الحيم ، جمع خيمة : ليس بينه وبين مفردة إلا الهاء ، يذكر ويؤنث . اللبان : الصدر ، أو ما بين الثديين .

٥ احامر : جبل . السدين : الشحم والصوف .

٦ قرضن : قطعن . ذا العشيرة : موضع . برق هجين ، أو هي برقة هجين : موضع . قال ياقوت : كأنها بين الحجاز والشام . وأورد شعر جميل . والبرقة : الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان .

٧ سراء : بفتح السين . قال ياقوت : كذا مضبوط بخط ابن نباتة ، كأنه اسم هضبة ، وأورد شعر جميل .

٨ الصفا : جبل بين بطحاء مكة والمسجد ، وهما جبلان الصفا والمروة .

ولو أرسلتُ ، يوماً ، بُشينةً تبتغي
لأعطيتها ما جاء يبغي رسولها ،
سليبي مالي ، يا بُشَيْنَ ، فإنما
فما لكِ ، لما خَبَرَ الناسُ أني
فأبليَ عذراً ، أو أجيءَ بشاهِدٍ ،
بُشَيْنَ ، الزمي لا ، إنَّ لا ، إن لزمته ،
لحا اللهُ من لا ينفعُ الوعدُ عنده ،
ومن هو ذو وجهين ليس بدائمٍ
ولستُ ، وإن عزَّت عليَّ ، بقائلٍ

يميني ، ولو عزَّت عليَّ يميني
وقلتُ لها بعد اليمين : سَلِّيني ،
يُبَيِّنُ ، عند المالِ ، كلُّ ضَنِينِ
غدرتُ بظهرِ الغيبِ ، لم تَسَلِّيني
من الناسِ ، عدلٍ أنْتهم ظلموني¹
على كثرةِ الواشِينِ ، أيُّ معُون²
ومَنْ حَبَلُهُ ، إن مُدَّ ، غيرُ متينِ
على العهدِ ، خلافَ بكلِّ يمينِ
لها بعد صَرمٍ : يا بُشَيْنَ ، صِلِّيني !

١ أبلي عذراً : أي أقدم عذراً مقبولا .

٢ المعون : المعونة .

رهن الذئب

شهدتُ بأنّي لم تَغَيَّرْ مودتي ، وأني بكم ، حتى الممات ، ضنينُ
 وأنّ فؤادي لا يلينُ إلى هوى سواكِ ، وإن قالوا : بلى ، سبيلينُ
 فقد لانَ أيامَ الصبا ثم لم يكد ، من الدهر ، شيء ، بعدهنّ ، بليّنُ
 ولما علّونَ اللابتيّنِ ، تشوّفتُ قلوبُ إلى وادي القرى ، وعيونُ^١
 كأنّ دموعَ العينِ ، يومَ تحملتُ بُيئةً ، يسقيها الرّشاشُ مَعينُ^٢
 ظعائِنُ ، ما في قُربهنّ لذي هوى من الناس ، إلّا شِفوةٌ وفُئونُ
 وواكلتهُ والهَمُّ ، ثمّ تركتهُ ، وفي القلبِ ، من وجدٍ بهنّ ، حنين
 ورُحْنٍ ، وقد أودعَ قلبي أمانةً لبئنةٍ : سِرٌّ ، في الفؤادِ ، كمين
 كسِرَ النّدى ، لم يعلمَ الناسُ أنّه ثوى في قرّارِ الأرضِ وهو دفين
 إذا جاوزَ الاثنينِ سرٌّ ، فلمنه ، بنثٌ وإفشاءِ الحديثِ ، قمينُ^٣
 تُشيبُ روعاتُ الفراقِ مفارقي ، وأنشزنَ نفسي فوقَ حيثُ تكونُ^٤

١ اللابتان : حرتان تكتنفان المدينة . وادي القرى : موضع قرب المدينة كان يقيم به جميل وبئينة .
 ٢ تحملت : ترحلت . الرشاش : جمع الرش : وهو الماء . المعين : الماء الجاري على وجه الأرض .
 ٣ النث : الإفشاء . قمين : جدير .
 ٤ أنشزن نفسي : رفعها عن مكانها ، أي تجيش نفسه من خوف الفراق . يقال : جاشت النفس ، إذا ارتفعت من حزن أو فزع .

فواحسرتنا ! إن حيلَ بيني وبينها ، ويا حينَ نفسي ، كيف فيك تحين !^١
ولاني لأستغشي ، وما بي نَعْسَةٌ ، لعلَّ لِقَاءَ ، في المنام ، يكون^٢
فإن دامَ هذا الصَّرمُ منك ، فإنني لأغبرها ، في الجانبين ، رهين^٣
لكيما يقول الناسُ : مات ولم يَمِنْ ، عليك ، ولم تنبَ منك قرون^٤
يقولون : ما أبلاك ، والمالُ عامرٌ ، عليك ، وضاحي الجِلدِ منك كنين^٥
فقلت لهم : لا تعدُّلوني ، وانظروا إلى النازِعِ المقصورِ كيف يكون^٦

١ الحين : الهلاك . تحين : تهلك .

٢ أستغشي : ألتفئ كيلا أسمع ولا أرى ، وهنا يستغشي لينام .

٣ لأغبرها : لذئبها ، أي ذئب الفلاة . الجانبون : الغرياء النازحون عن بلادهم .

٤ لم يَمِنْ : لم يكذب . تنبت : تنقطع . قرون : حبال ، أي حبال المودة والوفاء .

٥ الضاحي : البارز للشمس تصيبه . كنين : مستور .

٦ النازع : الرامي بالسهم . المقصور : الذي قصره قيده ، أي حبسه وقهره ، وهذا مثل ذكره الأساس .

ليبك داعي الحب !

بلغه أن مروان بن هشام الحضرمي والي تيماء من قبل عبد الملك
ابن مروان يطارده ، وكان أهل بثينة قد استعدوه عليه ، فقال :

أَتَانِي عَنْ مَرَّوَانٍ ، بِالْغَيْبِ ، أَنَّهُ مُقِيدٌ دَمِي ، أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِي^١
فَفي الْعَيْسِ مَنجَاةٌ وَفي الْأَرْضِ مَذْهَبٌ إِذَا نَحْنُ رَفَعْنَا لَهْنَ^٢ الْمَثَانِيَا^٣
وَرَدَّ الْهُوَى أَثْنَانُ^٤ ، حَتَّى اسْتَفْزَنِي ، مِنَ الْحَبِّ ، مَعْطُوفُ الْهُوَى مِنْ بِلَادِيَا^٥
أَقُولُ لِدَاعِي الْحَبِّ ، وَالْحِجْرُ بَيْنَنَا ، وَوَادِي الْقُرَى : لَبَيْكَ ! لَمَّا دَعَانِيَا^٦
وَعَاوَدْتُ مِنْ خِلٍّ قَدِيمٍ صِبَابِي ، وَأَظْهَرْتُ مِنْ وَجْدِي الَّذِي كَانَ خَافِيَا^٧
وَقَالُوا : بِهِ دَاءٌ عَيَاءٌ أَصَابَهُ ، وَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَا^٨
أَمْضُورَةٌ لَيْلَى عَلَى أَنْ أَزُورَهَا ، وَمُتَّخِذٌ ذَنْبًا لَهَا أَنْ تَرَانِيَا^٩ ؟
هِيَ السَّحَرُ ، إِلَّا أَنْ لِّلْسَحْرِ رُقِيَّةٌ ، وَلِيَّ لَا أُلْفِي لَهَا ، الدَّهْرَ ، رَاقِيَا^{١٠}

١ مقيد دمي : أي منزل بي القصاص .

٢ المثاني : الحبال من صوف أو من شعر . وقوله : رفعتنا لهن المثانيا : أي كلفناهن السير المرفع ، وهو دون العدو .

٣ اثنان : موضع بالشام ، ذكره ياقوت وأورد شعر جميل .

٤ الحجر : اسم ديار ثمود بين المدينة والشام . وهي قرية صغيرة على يوم من وادي القرى ذكرها ياقوت وأورد شعر جميل .

أَحِبَّ الأَيَّامِي ، إِذْ بُشِينَةُ أَيْمٌ ، وَأَحْبَيْتُ ، لَمَّا أَنْ غَنَيْتِ ، الْغَوَانِيَا
أَحِبَّ مِنَ الأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا ، وَأَشْبَهَهُ ، أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
وَدِدْتُ ، عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ ، لَوْ أَنِهَا ، فِي عُمْرِهَا ، مِنْ حَيَاتِيَا
وَأَخْبَرْتُمَانِي أَنَّ تَيْمَاءَ مَنَزَلٌ ، لَيْلِي ، إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَّاسِيَا
فَهَذَا شُهُورِ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ ، فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَبْلِي الْمَرَّامِيَا ؟
وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شَتَّ أَشْقَيْتِ عَيْشِي ، وَإِنْ شَتَّ ، بَعْدَ اللَّهِ ، أَنْعَمْتَ بِأَلِيَا
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدٍّ ، يَرَى نِضْوًا مَا أَبْقَيْتِ ، إِلَّا رُئِيَ لِيَا
وَمَا زِلْتُ لِي ، يَا بَثْنُ ، حَتَّى لَوْ أَنِّي ، مِنْ الْوَجْدِ ، أَتَبَكَّي الْحَمَامَ ، بِكَيِّ لِيَا
إِذَا خَدَّرْتَ رِجْلِي ، وَقِيلَ شَفَاؤُهَا ، دُعَاءُ حَبِيبٍ ، كُنْتُ أَنْتِ دُعَائِيَا
إِذَا مَا لَدَيْغُ أَبْرَأَ الْحَلَكِيِّ دَاءُهُ ، فَحَلَكِيكَ أَمْسَى ، يَا بُشِينَةُ ، دَائِيَا
وَمَا أَحْدَثَ النَّأْيُ الْمَفْرَقُ بَيْنَنَا ، سَلَوًا ، وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعِ تَقَالِيَا
وَلَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَبَابَةً ، وَلَا كَثْرَةُ الْوَاشِينَ إِلَّا تَمَادِيَا

- ١ الأيَّامِي ، جمع أيم : وهي المرأة التي مات زوجها . غنيت : تزوجت . الغواني ، جمع الغانية : وهي المتزوجة التي استغنت بزوجها .
٢ كنى بلبل عن بشينة . ويروى هذا البيت لمجنون بني عامر . قال صاحب الأغاني : وتيماء خاصة منزل لبني عذرة ، وليس من منازل بني عامر ، وإنما يرويه عن المجنون من لا يعرفه .
٣ النضو : المهزول .
٤ كانوا يداوون الذي لدغته الحية بأن يجعلوا في يديه الحلي لئلا ينাম فيدب السم فيه .
٥ التقالي : التباغض .

ألم تعلمي يا عذبة الرِّيق أني أظللُّ ، إذا لم ألقَ وجهك ، صاديا ؟
لقد خِفْتُ أن ألقى المنيَّةَ بَغْتَةً ، وفي النفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هيا
ولاني لينسيني لِقاؤكِ ، لقيتُكِ يوماً ، أن أبُشِّكِ ما بيا

أصلي فأبكي

أرى كلَّ معشوقين ، غيري وغيرها ، يَلْدَانِ في الدنيا وَيَغْتَبِطَانِ
وأمشي ، وتمشي في البلاد ، كأننا أسيران ، للأعداء ، مُرْتَهَنَانِ
أصلي ، فأبكي في الصَّلَاةِ لذكرِها ، ليَ الويلُ مما يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ^١
ضَمِنْتُ لها أنْ لا أَهيمَ بغيرِها ، وقد وثِقتُ مني بغيرِ ضَمَانِ
ألا ، يا عِبَادَ اللَّهِ ، قوموا لتسمعوا خُصُومَةَ مَعشُوقَيْنِ يَخْتَصِمَانِ
وفي كلِّ عامٍ يَسْتَجِدُّانِ ، مَرَّةً ، عِتَاباً وَهَجَرًا ، ثُمَّ يَصْطَلِحَانِ
يعيشانِ في الدُّنْيَا غَرِيبَيْنِ ، أينما أقاما ، وفي الأعوامِ يلتقيانِ
وما صَادِيَاتُ حُصْنٍ ، يوماً وَليلةً ، على الماءِ ، يُغْشَيْنِ الْعِصِيَّ ، حَوَانِي^٢
لَوَاغِبُ ، لا يَصْدُرُنَّ عَنْهُ لَوِجُهُ ، ولا هنَّ من بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِي^٣
يرين حَبَابَ الْمَاءِ ، والموتُ دونه ، فهنَّ لأَصْوَاتِ السَّقَاةِ رَوَانِي^٤
بأَكْثَرَ مِنِّي غُلَّةً وَصَبَابَةً إِلَيْكَ ، ولكنَّ الْعَدُوَّ عَدَانِي^٥

١ يكتب الملكان : أي يكتبان من أعماله السيئة لحساب الآخرة .

٢ صاديّات : أي نياق عطشات . يغشين : يضربن . حواني : لاويات الأعناق .

٣ لواغب : معييات ، أعيان السير أشد الإعياء .

٤ حباب الماء : نفاخاته التي تملؤه . روان : مديجات النظر .

٥ الغلة : العطش . عداني : أي صرفني عنك وشغلني .

كيف أقول

ألا هل إلى إمامة . أن أُلِمَّها ،
على حين يسلو الناسُ عن طلبِ الصِّبا ،
فإن هي قالتُ : لا سبيلَ ، فقل لها :
ألا ، لا أبالي جفوةَ الناس ، إن بدا ،
وما لم تُطِيعي كاشِحاً ، أو تبدلي
وإن صباباتي بكم لكثيرةٌ ،
يَقِيكَ جميلٌ كلَّ سوءٍ ، أما له
وقد قلتُ ، في حبي لكم وصبابتي ،
فإن لم يكنْ قولي رِضاكَ ، فعلمي
فما غابَ عن عيني خيالُكَ لحظةً ،
بُشَيَّةٌ ، يوماً في الحياةِ ، سبيلُ ؟
وينسى ، اتباعَ الوصلِ منك ، خليلُ
عناءٌ ، على العُدريِّ منك ، طویلُ
لنا منك ، رأيٌ ، يا بُشَيِّنَ ، جميل
بنا بدلاً ، أو كانَ منك ذُهوْلُ
بُشَيِّنَ ، ونِسْيَانِيكُمُ لِقَلِيلِ
لديكَ حَدِيثٌ ، أو إليك رسولُ ؟
مَحاسِنَ شِعْرِ ، ذِكْرُهُنَّ يطولُ
هُبوبَ الصِّبا ، يا بُشَيِّنَ ، كيفَ أقول
ولا زالَ عنها ، والخيالُ يزول

راكب على جملة

رسم دارٍ وقتُ في طَلَلِهِ ، كدتُ أقضي ، الغدَاةَ ، من جَلَلِهِ^١ .
 مُوحِشاً ، ما ترى به أَحَدًا ، تَتَسَجُّ الرِّيحُ تُرَبَ مُعْتَدِلِهِ^٢ .
 وَصَرِيعاً من الثُّمَامِ ترى عارماتِ المَدَبِ في أَسَلِهِ^٣ .
 بَيْنَ عِلْيَاءٍ وَابِشٍ ، قَبْلِيَّ ، فَالغَمِيمِ الَّذِي إِلَى جَبَلِهِ^٤ .
 واقفاً في ديارِ أُمِّ حَسَنِ ، من ضَحَى يومه إلى أَصْلِهِ^٥ .
 يا خَلِيلِي ، إِنَّ أُمَّ حَسَنِ ، حينَ يَدْنُو الضَّجِيعُ من عِلَلِهِ^٦ ،
 رَوْضَةُ ذاتُ حَنَوَةٍ وَخُزَامَى ، جَادَ فِيهَا الرِّبِيعُ من سَبَلِهِ^٧ .
 بَيْنَمَا هُنَّ بِالْأَرَاكِ مَعاً ، إِذْ بَدَأَ رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ^٨ .
 فَتَاطَرْنَ ، ثُمَّ قَلْنَ لَهَا : أَكْرَمِيهِ ، حَيَّتِ ، فِي نُزُلِهِ^٩ .

١ رسم دار : أي رب رسم دار . من جلله : أي من أجله .

٢ معتدله : متوسطه .

٣ الثمام : نبت . العارمات : القوية الشديدة . المدب : مجرى . اسله : عيدانه .

٤ وابش : واد . بلي : تل . الغميم : موضع بالجهاز .

٥ أم حسين وتروى أم جسير : أخت بثينة ، وكان يتنزل بها قبل أن يمشق بثينة . الأصل ، جمع الأصيل : وهو المشي . العلل : الشرب بعد الشرب تباعاً .

٦ الحنوة : نبات سهلي طيب الريح . السبل : المطر .

٧ الأراك : موضع بمرفات .

٨ تاطرن : تنهين . النزول : ما يهيا للضيف .

فَظَلَّلْنَا بِنِعْمَةٍ ، وَاتَّكَأْنَا ، وَشَرَبْنَا الْحَالَ مِنْ قُلْلِهِ^١
قَدْ أَصُونُ الْحَدِيثَ دُونَ أَخٍ ، لَا أَخَافُ الْأَذَاةَ مِنْ قَبْلِهِ
غَيْرَ مَا بَغْضَةٍ ، وَلَا لاجْتِنَابٍ ، غَيْرَ أَنِّي أَلَحْتُ مِنْ وَجَلِهِ^٢
وَحَلِيلٍ ، صَافَيْتُ مَرْضِيًّا ، وَحَلِيلٍ ، فَارَقْتُ مِنْ مَلَلِهِ

١ اتَّكَأْنَا : أَكَلْنَا . الْقُلْلُ ، جَمْعُ قَلَّةٍ : وَهِيَ الْجُرَّةُ الْعَظِيمَةُ .

٢ أَلَحْتُ : خَفْتُ وَحَذَرْتُ .

سعي العواذل

كانت بثينة قد واعدت جميلاً للالتقاء في بعض المواضع ،
فأتى لوعدها . فعرف أهلها . فحرسوها ومنعوها من الوفاء
بوعدها . فلما أسفر الصبح انصرف كثيباً سيئ الظن بها ،
ورجع إلى أهله ، فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقولن :
إنما حصلت منها على الباطل والكذب والفدر ، وغيرها أول
بوصلك منها ، كما أن غيرك يحظى بها . فقال :

أبئين ، إنك قد ملكت فأسجحي ، وخذي بحظك من كريمٍ واصل^١
فلرب عارضة علينا وصلها ، بالجد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها بالرفق ، بعد تستر : حببي بثينة عن وصالك شاغلي
لو أن في قلبي ، كقدر قلامة ، فضلاً ، وصلتك ، أو أتتك رسائي
ويقولن : إنك قد رضيت بباطلٍ منها ، فهل لك في اعتزال الباطل ؟
ولبّا طيل^٢ ، ممن أحب حديثه ، أشهى إلي من البغيض الباذل
ليزولن عنك هواي ، ثم يصلنني ، وإذا هويت ، فما هواي بزائل
صادت فؤادي ، يا بثين ، حبالكم ، يوم الحجون ، وأخطأتك حبائلي^٣

١ أسجحي : أي سهلي وأحسني الغفو ، وهو مثل يقال : ملكت فأسجع .

٢ الحجون : جبل بمكة عنده مدافن أهلها .

مَنِّيَنِي ، فَلَوَيْتِ مَا مَنِّيَنِي ، وَجَعَلْتِ عَاجِلَ مَا وَعَدْتِ كَآجِلٍ^١
 وَتَشَاقَلْتِ لَمَّا رَأَتْ كَلَفِي بِهَا ، أَحَبُّ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مُتَشَاقِلٍ !
 وَأَطَعْتِ فِي عَوَازِلَآ ، فَهَجَرْتِنِي . وَعَصَيْتُ فَيْكَ ، وَقَدْ جَهَدَنَ ، عَوَازِلِي
 حَاوَلْتِنِي لِأَبْتِ حَبْلَ وَصَالِكُمْ مَنِي ، وَلَسْتُ ، وَإِنْ جَهَدَنَ ، بِفَاعِلِ
 فَرَدَدْتُهُنَّ ، وَقَدْ سَعَيْنَ بِهَجْرِكُمْ ، لَمَّا سَعَيْنَ لَهُ ، بِأَفْوَاقِ نَاصِلِ^٢
 يَعْضَضُنَّ ، مِنْ غِيْظِ عَلِيٍّ ، أَنَامِلَآ ، وَوَدِدْتُ لَوْ يَعْضَضُنَّ صُمَّ جَنَادِلِ !
 وَيَقْلُنَ إِنَّكَ ، يَا بُثَيْنَ ، بِخَيْلَةٍ ، نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنَيْنِ بِاخِيلِ !

١ لويت : مطلت .

٢ الأفوق : السهم الذي كسر فوقه ، وهو شق رأس السهم حيث يقع الوتر . الناصل : ما لا فصل له . يقول : أخفق مساعن ، فكأنهم رمين بسهم مكسور الفوق لا فصل له .

ولو قطعوا رجلي !

خليلي ، عوجاً بالملحة من جمل ، وأترابها ، بين الأجير فالخبيل^١ ،
 نقف بمغان قد عا رسمها البلي ، تُعاقبها الأيام بالريح والوبل^٢ ،
 فلو درج النمل الصغارُ بجلدِها ، لأندب ، أعلى جلدِها ، مدرج النمل^٣ ،
 أفي أم عمرو تعدلاني ؟ هديتُما ! وقد تيمت قلبي ، وهام بها عقلي
 وأحسنُ خلق الله جيداً ومقلّةً ، تشبهه ، في النسوان ، بالشادنِ الطفل^٤ ،
 وأنتِ لعيني قرةٌ حينَ نلتقي ، وذِكركِ يشفيني ، إذا خدرتِ رجلي^٥ ،
 أفق ، أيها القلبُ اللجوجُ ، عن الجهل ، ودع عنك جُملاً ، لا سبيلَ إلى جمل !
 ولو أن ألفاً دونَ بشة ، كلّهم غيارى ، وكلُّ مُزْمِعُونٍ على قتلي
 لحاولتُها ، إمّا نهاراً مُجاهراً ، وإمّا سُرَى ليلٍ ، ولو قطعوا رجلي !

١ الأجير : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس ذكره ياقوت . الخبل : موضع لم يذكره ياقوت .

٢ المغاني : المنازل .

٣ أندب : ترك ندوباً ، أي آثار جراح .

٤ الشادن : ولد الطيبة .

٥ خدرت رجلي : من عقائد العرب أن أحدهم إذا خدرت رجله ، ذكر أحب الأسماء إليه ، ليزول الخدر .

ولا تضيعن سري !

صدتُ بشيئةٍ عني أن سَعَى ساعٍ ، وآيَسَتْ بعد موعودٍ وإطماعٍ
 وصدقتُ في أقوالاً تَقَوَّلَهَا واشٍ ، وما أنا للواشي بمِطْوَاعٍ
 فإن تَبَيَّنِي بلا جُرمٍ ولا تِرَةٍ ، وتولَّعِي بِي ظُلماً أيَّ إيلاعٍ^١
 فقد يَرى اللهُ أني قد أَحْبَبْتُكُمْ ، حُبّاً أَقامَ جَواهُ بين أضلاعي^٢
 لولا الذي أرتجي منه وآملُهُ ، لقد أشاعَ ، بموتي عندها ، ناعِي
 يا بَتْنُ ، جُودي ، وكافي عاشقاً دنيّاً ، واشفي بذلك أسقامي وأوجاعي
 إنَّ القليلَ كثيرٌ منكٍ ينفعني ، وما سِواهُ كثيرٌ ، غيرُ نِفَاعٍ
 آليتُ ، لا أصطفي بالحبِّ غيركمُ ، حتى أُغَيَّبَ ، تحتَ الرمسِ ، بالقاعِ
 قد كنتُ عنكم بَعِيدَ الدارِ مُعْتَرِباً ، حتى دعاني ، لحيني ، منكمُ ، داعٍ
 فاهتاجَ قلبي لحُزنٍ قد يُضَيِّقُهُ ، فما أغمَضُ غُمُضاً غيرَ تَهْياعٍ^٣
 ولا تُضَيِّعِنَ سَري ، إن ظفِرتِ به ، إني لِسِرِّكِ ، حقّاً ، غيرُ مِضْياعٍ
 أصونُ سِرِّكِ في قلبي ، وأحفظُهُ ، إذا تَضايَقَ صدرُ الضيقِ الباعِ
 ثم اعلمي أنَّ ما استودعتني ، ثِقَةً ، يُمسي ويصبحُ عندَ الحافظِ الواعي

١ الترة : الثأر .

٢ الجوى : الهوى الباطن والحزن .

٣ التهياع : الانبساط على وجه الأرض ، والفرع الشديد .

ليس الحب بدعة

سقى مَبْرَلَيْنَا . يا بَئِينَ . بحاجر . على الهجرِ مِنَّا ، صَيْفٌ وربيعٌ^١
 ودوركِ . يا ليلي . وإن كنَّ بعدنا بَلَيْنَ بِلَى ، لم تَبْلَهُنَّ ربوعُ
 وخيماتِكِ اللاتي بمُنْعَرَجِ اللوى ، لقُمرِيَّها ، بالشرقين ، سَجِيعُ^٢
 يُزْعِزُ فيها الرِّيحُ ، كلَّ عَشِيَّةٍ ، هَزِيمٌ ، بسُلاَفِ الرِّيحِ ، رَجِيعُ^٣
 وإني، أن يعلَى بكِ اللّومُ، أو تُرَيَّ بدارِ أذَى ، من شامتٍ لَجْزُوع
 وإني على الشيء الذي يُلْتَوَى به ، وإن زجرتني زَجْرَةٌ ، لَوَرِيعُ^٤
 فقدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ ! فلاني هَيْتُكِ عن هذا ، وأنتِ جَمِيعُ^٥
 فقربتِ لي غَيْرَ القريبِ ، وأشرقتِ هناكَ ثَنابا ، ما لهنَّ طُلُوعُ^٦
 يقولون : صَبَّ بالغواني موكَلٌ ، وهل ذاكَ، من فعلِ الرجالِ، بديعُ؟^٧
 وقالوا : رعبتِ اللّهُوَ، والمالُ ضائعٌ؛ فكالتناسِ فيهم صالِحٌ ومُضِيعُ

- ١ حاجر : موضع . الصيف : مطر الصيف . الربيع : المطر في الربيع .
- ٢ المنعرج : المنعطف . اللوى : ما التوى من الرمل . القمري : الحمام .
- ٣ الهزيم : صوت الرعد . سلاف الرياح : متقدماتها . رجيع : مردد .
- ٤ زجرتني : ضمير الفاعل يعود إلى نفسه ، دل عليها ما بعده . ورِيع : كاف متنع .
- ٥ الشعاع : المتفرقة الهموم . جميع : أي مجموعة الهم .
- ٦ ثَنابا : عقبات .
- ٧ بديع : أي بدعة يؤتى بها .

فكيف كبرت ولم تكبري ؟

تقول بُشَيْنَةُ لَمَّا رَأَتْ فُنُونًا مِّنَ الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ ١ :
كَبُرْتُ ، جَمِيلٌ ، وَأودى الشَّابُّ ، فَقُلْتُ : بُشَيْنَ ، أَلَا فاقْصُرِي !
أَتَنْسِينَ أَيَّامَنَا بِاللَّوَى ، وَأَيَّامَنَا بِذَوِي الْأَجْفَرِ ٢ ؟
أَمَّا كُنْتُ أَبْصَرْتَنِي مَرَّةً ، لِيَالِي ، نَحْنُ بِذِي جَهْوَرٍ ٣
لِيَالِي ، أَنْتُمْ لَنَا جِيرَةٌ ، أَلَا تَذَكِّرِينَ ؟ بَلَى ، فَادْكُرِي !
وَإِذَا أَنَا أُغِيدُ ، غَضُّ الشَّابِّ ، أَجْرُ الرِّدَاءِ مَعَ الْمِثْرَةِ
وَإِذَا لِمَتِي كَجَنَاحِ الْغُرَابِ ، تُرَجَّلُ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ
فَغَيَّرَ ذَلِكَ مَا تَعْلَمِينَ ، تَغْيِيرَ ذَا الزَّمَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَنْتِ كَلُّوْلُوَّةِ الْمَرْزُبَانِ ، بِمَاءِ شَبَابِكِ ، لَمْ تُعْصِرِي
قَرِيبَانِ ، مَرَبَعْنَا وَاحِدٌ ، فَكَيْفَ كَبُرْتُ وَلَمْ تَكْبُرِي ؟ . .

١ الشعر الأحمر : أي المخضب بالحناء ونحوها .

٢ اللوى : الرمل المتلوي ، موضع . الأجفر : موضع أو ماء .

٣ جهور : موضع ، ذكره ياقوت والفيروزابادي ، ولم يبينوا موقعه .

٤ الأغيد : الشاب الناعم اللين الأعطاف .

٥ ترجل : تمشط .

٦ المرزبان : رئيس الفرس ، وكانوا يتحلون باللاله . لم تعصري : لم تراهقي العشرين .

زورا بثينة !

شكا زوج بثينة إلى أبيها وأخيها للمام جميل بها ،
فشكوه إلى عشيرته وتوعده وإياهم ، فلامه أهله
وعنفوه ، وقالوا له : نبرأ منك ومن جريرتك .
فأقام مدة لا يلم بها . ثم لقي أبي عمه روقاً ومسعدة
فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله :

زورا بثينة ، فالحيبُ مزورٌ ، إنَّ الزيارةَ ، للمحبِّ ، يسيرُ
إنَّ الترحُّلَ ان تلبَّسَ أمرُنا ، واعتاقنا قدرٌ أحِمَّ بكورُ^١
إني ، عشيّةَ رُحْتُ ، وهي حزينَةٌ ، تشكو إليَّ صبايَةَ ، لَصَبُورُ^٢
وتقول : بَيْتٌ عندي ، فديتُكَ ليلةً ، أشكو إليك ، فإنَّ ذاكَ يسيرُ
غراءُ ميسامٌ كأنَّ حديثها دُرٌّ تحدرَ نَظْمُهُ ، منشورُ^٣
محطوطةُ المتنين ، مُضْمَرَةُ الحشا ، رَيَّا الروادفِ ، خلَقُها مَمَكُورُ^٤
لا حُسْنِها حُسْنٌ ، ولا كدلالِها دَلٌّ ، ولا كَوَقارها توقيرُ^٥
إنَّ اللِّسانَ بذكرها لَمُوكَّلٌ ، والقلبُ صَادٍ ، والخواطرُ صُورُ^٦
ولئن جَزَيْتِ الودَّ مِنِّي مثلهُ ، إني بذلكَ ، يا بُثَيْنَ ، جديرُ

١ أحم : قضي .

٢ محطوطة المتنين : أي كأنما حطا بالمحط وهو ما يحط به الجلد أي يذلك ويصقل . مكور : مدمج .

٣ صور : مائلات ، أي مائلات إليها .

إلى الله اشكو

قال حين حجبوها عنه :

فإن يحجبوها ، أو يحلّ دون وصلها مقالةً واشٍ ، أو وعيدُ أميرٍ
 فلم يحجبوا عينيّ عن دائمِ البكا ، ولن يَمْلِكُوا ما قد يَجُنّ ضميري^١
 إلى الله أشكو ما أَلَاقي من الهوى ، ومن حُرّقٍ تَعْتادُني ، وزفيرِ
 ومن كُربٍ للحبِّ في باطنِ الحشا ، وليلٍ طويلِ الحزنِ ، غيرِ قصيرِ
 سَأبكي على نفسي بعينِ غزيرةٍ ، بُكاءَ حَزِينٍ ، في الوثاقِ ، أسيرِ
 وكنا جميعاً قبلَ أن يَظْهَرَ النوى ، بأنعمِ حَالِي غِيبَةِ وسُروِ
 فما بَرَحَ الواشونَ ، حتى بدت لنا يُطُونُ الهوى مقلوبةً بظُهُورِ
 لقد كنتُ حسبُ النفسِ لودام وصلنا ، ولكنما الدنيا متاعُ غُرورِ
 لو أنّ امرأً أخفى الهوى عن ضميره ، لَمِتَ ولم يعلمِ بذلكَ ضميري

١ يحن : يستر .

هل يقتل الحب ؟

تذكر أنساً ، من بُشينةَ ، ذا القلبُ ، وبشنةُ ذِكرها ، لذي شَجَنٍ ، نَصَبُ^١
 وحتتُ قَلوصي ، فاستمعتُ لسَجَرها ، برملةٍ لُدِّ ، وهي مَثنِيَّةٌ تَحَبُّو^٢
 أكذبتُ طرفي ، أم رأيتُ بذِي الغضا ، لبشنةَ ، ناراً ، فارفعوا أيها الركبُ!^٣
 إلى ضوءِ نارٍ ما تَبُوخُ ، كأنَّها ، من البُعدِ والإقواء ، جَيَّبٌ له نَقَبُ^٤
 ألا أيها النِّوَامُ ، ويحكمُ ، هُبُّوا ! أسألكُم : هل يقتلُ الرجلُ الحبَّ ؟
 ألا رُبَّ ركبٍ قد وقفتُ مطيَّهمُ ، عليكِ ، ولولا أنتِ ، لم يقِفِ الركبُ
 لها النظرةُ الأولى عليهم ، وبَسْطَةُ^٥ ، وإن كَرَّتِ الأبصارُ ، كان لها العُقْبُ^٥

١ النصب : الداء والبلاء .

٢ القلوص : الناقة الشابة . السجر : حنين الناقة إذا مدت صوتها . لد : اسم رملة بالشام . مثنية :

مقولة . تحبو : تزحف . والبعر المعقول يحبو إذا زحف .

٣ الغضا : شجر ، وموضع . ارفعوا : أي ارفعوا السير .

٤ تبوخ : تحمد . الإقواء : الخلو . الجيب : طوق القميص ، ومدخل الأرض . النقب : طريق

في الجبل ، والنقب .

٥ العقب : العاقبة ، أي آخر نظرة .

إذا حلت بمصر

أشأقك عالج ، فإلى الكتيب . إلى الدارات من هضب القليب
إذا حلت بمصر ، وحلّ أهلي يثرب . بين آطام ولوب
مجاورة بمسكنها نحيلاً ، وما هي حين تُسأل من مُجيب
وأهوى الأرض عندي حيث حلت . يجذب في المنازل ، أو خصيب

١ عالج : موضع به رمل . الهضب ، جمع هضبة : وهي الجبل المنبسط على الأرض . القليب :
البئر القديمة .

٢ يثرب : المدينة . الآطام ، جمع اطم : وهو الحصن المبني بالحجارة ، وكل بيت مربع مسطح .
اللوب ، جمع لابة : وهي الحرة ، ويريد بذلك لآبتي المدينة ، وهما حرتان تكتنفانها .

نصبي من الدنيا

من الحفريات البيض أخلص لونها ، تُلَاحِي عدوّاً لم يجدْ ما يعيها
فما مِرْنةٌ بين السماكين أومضتْ ، من النُورِ ، ثمّ استعرضتها جنوبها^١
بأحسن منها ، يومَ قالتْ ، وعندنا ، من الناسِ ، أوباشٌ يُخافُ شُغوبها :
تعاييتْ ، فاستغنيّتْ عنّا بغيرِنا ، إلى يومٍ يَلْقَى كلَّ نفسٍ حبيبها
ودِدْتُ ، ولا تُغني الودادةُ ، أنها نصبي من الدنيا ، وأني نصيبها

١ المِرْنة : المطرة . السماكان : نجمان فيران ، وهما الأعزل والرامح . جنوبها : أي ربيعها الجنوبي .

ألد من الدنيا

استمدى أهل بئينة على جميل مروان بن هشام الحضرمي فتوعده ،
فاستخفى جميل عند سيد من قومه . فزين سبع بنات له رجاء أن يعلق
واحدة منهن ، فيزوجه إياها ، فكن يرفعن الحباء إذا أقبل جميل ،
وفطن هو لذلك ، فقال هذا الشر ، فسمه الشيخ فقال لبناته :
ارخين الحباء ، لا يفلح والله هذا أبداً !

حلفتُ ، لِكَيْما تَعَلِّمَنِي صادقاً ، وَلِلصَّدَقِ خَيْرٌ في الأمورِ ، وَأُنْجِحُ
لِتَكَلِيمِ يومٍ ، من بُئِينَةٍ ، واحدٍ ، أَلَدُّ من الدنيا ، لديّ ، وأُمْلَحُ
من الدهرِ لو أخلو بكنٍّ ، وإنما أَعالِجُ قلباً طامعاً ، حيثُ يَطْمَحُ^١
ترى البُزْلَ يَكْرَهُنَّ الرِّياحَ إذا جَرَّتْ ، وبئِنَّةُ ، إن هبَّتْ بها الرِّيحُ ، تفرَحُ^٢
بذي أَشَرٍ ، كالأَقْحَوَانِ ، يزيْنُسُه ندى الطَّلِّ ، إلّا أَنَّهُ هو أُمْلَحُ^٣

١ من الدهر : أراد من نعم الدهر .

٢ البزل : أي الطاعنات في السن .

٣ الأشر : تحزير الأسنان وبريقها . الأقحوان : زهرة البابونج . الطل : المطر الخفيف .

بين قتل وصلاح

تَنَادَى آلُ بَثْنَةَ بِالرَّوَّاحِ ، وَقَدْ تَرَكُوا فَوَادَكَ غَيْرَ صَاحِ
فِيَا لَكَ مَنَظَرًا ، وَمَسِيرَ رَكْبٍ ، شَجَانِي حِينَ أَبْعَدَ فِي الْفِيَّاحِ^١
وَيَا لَكَ خُلَّةً ظَفِرَتْ بِعَقْلِي ، كَمَا ظَفِرَ الْمُقَامِرُ بِالْقِدَاحِ^٢
أُرِيدُ صِلَاحَهَا ، وَتُرِيدُ قَتْلِي ، وَشَتَّى بَيْنَ قَتْلِي وَالصَّلَاحِ !
لَعَمْرُ أَيْيِكَ ، لَا تَجِدِينَ عَهْدِي كَعَهْدِكَ ، فِي الْمَوْدَةِ وَالسَّمَاحِ
وَلَوْ أُرْسِلَتْ تَسْتَهْدِينَ نَفْسِي ، أَتَاكَ بِهَا رَسُولُكَ فِي سَرَاحِ^٣

١ الفيَّاح : المتسع .

٢ القداح : سهام الميسر .

٣ تستهدين : تطليين هدية . السراح : الطلاق ، أي طلاق نفسه .

هيام !

لقد ذَرَفْتُ عيني و طال سُفُوحُهَا ، وأصبحَ ، من نفسي سقيماً ، صحيحُها
ألا ليتنا نَحْيَا جميعاً ، وإن نَمَتْ ، يُجاوِرُ، في الموتى ، ضريحِي ضريحُها
فما أنا ، في طولِ الحِياةِ ، براغِبٍ ، إذا قِيلَ قد سُويَ عليها صَفِيحُها
أظُلُّ ، نهاري ، مُستَهماً ، ويلتقي ، مع الليل ، رُوحِي ، في المنام ، وروحُها
فهل لي ، في كِتْمَانِ حُبِّي ، راحةٌ ، وهل تنفعني بَوحَةٌ لو أبوحُها !

أبوء بذنبي

لقي جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته ، فتعابها طويلا ، فقالت له :
 ويحك يا جميل ! أزعج أنك تهواني ، وأنت الذي تقول :
 رمى الله ، في عيني بثينة ، بالقذى ، وفي الفر من أنيابها ، بالقوادح
 فأطرق طويلا يبكي ثم قال : بل أنا القاتل :
 ألا ليتني أعسى أسمى تقودني بثينة ، لا يخفى علي كلامها
 فقالت له : ويحك ! ما حملك على هذه المني ؟ أوليس في سعة العافية ما كفانا
 جميعاً ؟ !

رمى الله ، في عيني بثينة ، بالقذى ، وفي الغر من أنيابها ، بالقوادح^١
 رمتني بسهم ، ريشه الكحل ، لم يضر ظواهر جلدي ، فهو في القلب جارحي
 ألا ليتني ، قبل الذي قلت ، شيب لي ، من المذعف القاضي سمام الذراح^٢
 فمت ، ولم تعلم علي خيانة ، ألا رب باغي الربح ليس برايح
 فلا تحمليها ، واجعليها جناية ، تروحت منها في مياحة مائح^٣
 أبوء بذنبي ، انتي قد ظلمتها ، وإني بباقي سرها غير بائع^٤

-
- ١ القوادح : جمع قاذح : وهو أكال يقع في الأسنان .
 - ٢ شيب : خلط . المذعف : المهلك سريعاً . السمام : جمع السم . الذراح ، جمع ذراح : وهي دويبة حمراء منقطة بسواد تطير ، وهي من السموم .
 - ٣ تروحت : رحت في الشيء . مياحة مائح : شفاع شافع .
 - ٤ أبوء بذنبي : أعترف به ، وأحمله .

حوض العشاق

وعاذِلِينَ أَلْحَوْا فِي مَحَبَّتِهَا ، يَا لَيْتَهُمْ وَجَدُوا مِثْلَ الَّذِي أُجِدُّ !
لَمَّا أَطَالُوا عَنَابِي فَيْكِ ، قُلْتُ لَهُمْ : لَا تُكْثِرُوا ، بَعْضَ هَذَا اللَّوْمِ ، وَاقْتَصِدُوا
قَدْ مَاتَ قَبْلِي أَخُو نَهْدٍ ، وَصَاحِبُهُ مُرَقَّشٌ ، وَاشْتَفَى مِنْ عُرْوَةِ الْكَمَدِ
وَكُلُّهُمْ كَانَ مِنْ عَشْقٍ مَنِيتُهُ ، وَقَدْ وَجَدْتُ بِهَا فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
إِنِّي لِأَحْسَبُ ، أَوْ قَدْ كَدْتُ أَعْلَمُهُ ، أَنْ سَوْفَ تُورِدُنِي الْحَوْضَ الَّذِي وَرَدُوا
إِنْ لَمْ تَنْلِنِي بِمَعْرُوفٍ تَجُودُ بِهِ ، أَوْ يَدْفَعَ اللَّهُ عَنِّي الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
فَمَا يَضُرُّ أَمْرًا ، أَمْسَى وَأَنْتِ لَهُ ، أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ الدُّنْيَا لَهُ سَنَدُ

١ أخو نهد : هو عبد الله بن عجلان النهدي ، شاعر جاهلي ، وأحد العشاق الذين قتلهم الحب ، وكان يشبب بصاحبه هند . المرقش : ويعرف بالمرقش الأكبر ، وهو من بني بكر بن وائل ، شاعر جاهلي ، أحب ابنة عمه أسماء ، فأبعده عمه عنها ، ومات بحبها . عروة : هو عروة بن حزام المذري أحد عشاق العرب المشهورين كان في زمن معاوية ، أحب ابنة عمه عفراء ، ولم يزوجه عمه ، فمات بحبها مسلولاً .

أفق !

أَفِيقْ ، قد أَفاقَ العاشقونَ ، وفارقوا الهوى ، واستمرتْ بالرجالِ المرائرُ^١
فقد ضلُّ ، إلّا أنْ تُقْضَى حاجةٌ بِسُرْقِ حَفِيرٍ ، دمعُكَ المتبادِرُ^٢
وهبَها كشيءٍ لم يكنْ ، أو كَنَازِحِ به الدارُ ، أو من غَيَّبَتْهُ المقابرُ
أَلْحَقْ ، إن دارُ الرِّبابِ تَبَاعَدَتْ ، أو ان شطَّ وَلِيٍّ ، أنْ قَلْبُكَ طَائِرٌ؟^٣
لَعَمْرِي ، ما اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وسرّها سِوَانَا ، حِذَاراً أنْ تَشِيعَ السَّرَائِرُ
ولا خَاطِبَتْهَا مَقْلَتَايَ بِنَظَرَةٍ ، فَتَعْلَمَ نَجْوَانَا العِيونُ النَوَاطِرُ
ولكن جعلتُ اللَّحْظَ ، بيني وبينها ، رَسولاً ، فأَدَى ما تَجُنُّ الضَّمائِرُ^٤

١ المرائر ، جمع مريرة : وهي طاقة الحبل والعزيمة . يقال : استمرت مريرته ، أي استحكمت عزمته ، وقويت شكيمته .

٢ برق حفير أو برقة حفير : موضع ، والبرقة : الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان .

٣ الرِّباب : علم امرأة . شط : بعد . الولي : القرب . ويقال : داره ولي داري ، أي قريبة منها .

٤ تجن : تستر .

الحب أوله لـ حاجة

لاحُ ، لعينِكَ من بُشِينَةٍ ، نارُ ،
 والحبُّ ، أولُ ما يَكُونُ لِحَاجَةٍ ،
 حتى إذا اقْتَحَمَ الفتَى لِحَجَّجِ الهَوَى ،
 ما من قَرينِ آلِفٍ لِقَرينِهَا ،
 وإذا أُرِدَتْ ، ولن يَخونَكَ كَاتِمٌ ،
 كِتْمَانِ سِرِّكَ ، يا بُشِينِ ، فَإِنَّمَا ،

١ الدرة: الصب ، والمراد ذوات درة .

٢ القرين الأول : القرينة ، على تضمين معنى الزوج للمرأة ، حملاً على نظيره .

٣ كتمان : مفعول أردت في البيت السابق .

جبل النوى

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ ، بَيْنَ الْحَيِّ ، وَاقْتَسَمُوا حَبْلَ النُّوَى ، فَهُوَ فِي أَيْدِيهِمْ قِطْعُ
جَادَتْ بِأَدْمُعِهَا لَيْلِي ، وَأَعْجَلَنِي وَشَكُّ الْفِرَاقِ ، فَمَا أَبْقِي ، وَمَا أَدْعُ
يَا قَلْبُ ، وَيَحْكُ ، مَا عِشِّي بِذِي سَلَمٍ ، وَلَا الزَّمَانُ ، الَّذِي قَدْ مَرَّ ، مُرْتَجِعُ^١
أَكَلَمَا بَانَ حَيٌّ ، لَا تُثَلَاثِمُهُمْ ، وَلَا يُبَالُونَ أَنْ يَشْتَاقَ مَنْ فَجَعُوا
عَلَّقْتَنِي بِهَوَى مُرْدٍ ، فَقَدْ جَعَلْتَ ، مِنَ الْفِرَاقِ ، حَصَاةُ الْقَلْبِ تَنْصَدِرُ^٢

١ ذو سلم : موضع .

٢ مرد : مهلك .

اعيدك بالرحمن !

قالا لما زوجت بثينة نبيها :

ألا نادِ عيراً من بثينة ، تترتعي ، نودّع على شحط النوى ، ونودّع^١
وحشوا على جمع الركاب ، وقربوا جِمالاً ، ونوقاً جِلّةً ، لم تضعضع^٢
أعيدك بالرحمن من عيش شقوة ، وأن تطمعي ، يوماً ، إلى غير مطمع !
إذا ما ابن ملعون تحدر رشحهُ عليك ، فموتي ، بعد ذلك ، أو دعي^٣
مَلين ، ولم أملل ، وما كنت سائماً لأجمال سُعدى ، ما أنحن بجمع^٤
ألا قد أرى ، إلا بُثينة ، ههنا ، لنا بعد ذَا المصطافِ والمُترَبِعِ

١ العير : الإبل تحمل الميرة . الشحط : البعد .

٢ الركاب : الإبل . الجلة : الإبل المسنة . لم تضعضع : أي لم تضعف وتذل .

٣ ابن ملعون : أي زوجها .

٤ السائم : الذي يعرض الإبل على الحوض لتشرب . الجمع : ما تطامن من الأرض .

ما عندنا لك حاجة

عرفتُ مصيِفَ الحَيِّ ، والمُترَبِّعا ، كما خطتِ الكَفُّ الكِتَابَ المُرجَّعا
معارِفُ أطلالٍ لِبِشْنَةٍ ، أَصْبَحَتْ معارفُها قَفْرًا ، من الحَيِّ ، بَلَقَعا
معارِفُ للخَوْدِ التي قُلْتُ : أَجْمِلِي إلينا ، فقد أَصْفَيْتِ بالودِّ أَجْمَعَا
فَقالتُ : أَفِقْ ، ما عندنا لك حاجةٌ ، وقد كُنْتَ عَنَّا ذا عَزاءٍ مُشِيَّعا
فَقلتُ لها : لو كُنْتُ أُعْطِيتُ عنكم عَزاءً ، لأَقْلَلْتُ ، الغَدَاةَ ، تَضْرُعا
فَقالتُ : أَكَلَّ النَّاسِ أَصْبَحَتْ ما نِحًا لسانَكَ ، كَيْما أَنْ تَغُرَّ وتُخَدَّعا ؟

- ١ المعنى : عرفت آثار ديار الحبيبة ، مصيفها ومتربعا ، فقد انكشفت بعد دروسها ، كأنها كتابة
محتها الأيام الطوال . ثم رجعت كف الكاتب رسمها بالأقلام .
٢ المسيح : الشجاع ، والمجول .

طائف الحب

فما سِرْتُ من ميلٍ ، ولا سِرْتُ ليلةً ، من الدهرِ ، إلاّ اعتادني منكِ طائِفُ
ولا مرّ يومٌ ، مذ ترامتْ بكِ النوى ، ولا ليلةً ، إلاّ هوّى منكِ رادِفُ
أهمّ سلُوءاً عنكِ ، ثم تردّتي إليكِ ، وتنيني عليكِ العواطِفُ
فلا تحسّبنّ النأيَ أسلى مودّتي ، ولا أنّ عيني ردّها عنكِ عاطِفُ
وكم من بديلٍ قد وجدتُ ، وطُرْفَةٍ ، فتأبى عليّ النفسُ تلكَ الطرائِفُ

١ الطرفة : ما كانت مستحدثة معجبة . الطرائف : جمع طريفة ، وخلها هنا النصب ، وفي البيت إقواء .

صدق الواشون

قال صاحب الأغاني : أهدر السلطان دم جميل لرهط بثينة ،
 إن وجدوه قد غشي دورهم . فعذرهم مدة ، ثم وجدوه عندها ،
 فتعودوه وكرهوا أن ينشب بينهم وبين قومه حرب في دمه ،
 وكان قومه أغز من قومها ، فأعادوا شكواه إلى السلطان ، فطلبه
 طلباً شديداً ، فهرب إلى اليمن ، وأقام بها مدة ، وفي ذلك يقول :

ألم خيالٌ ، من بثينةَ ، طارقُ ، على النأيِ ، مشتاقٌ إليّ وشائقُ
 سرتُ من تِلَاعِ الحِجرِ ، حتى تَخَلَّصْتُ إليّ ، ودوني الأشعرُونَ وغافِقُ^١
 كأنَّ فَتِيَّتَ المِسكِ خالَطَ نَشْرَها ، تُغَلِّ بِه أردانُها والمرَافِقُ^٢
 تقومُ إذا قامتْ به من فِراشِها ، ويغدُو به من حِضْنِها مَن تُعانِقُ^٣
 وهَجْرُكَ من تِماءَ بلاءٍ وشِقْوَةٍ عليكَ ، مع الشوقِ الذي لا يفارقُ
 ألا إنها ليست تجود لذي الهوى ، بل البُخلُ منها شِيمةٌ ، والخلائقُ^٤

١ التلاع : جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض ومسيل الماء . الحجر : اسم ديار ثمود بين المدينة والشام ، وهي قرية صغيرة على يوم من وادي القرى موطن جميل وبثينة . الأشعرون ، جمع الأشعر : وهو أبو قبيلة يمنية ، والنسبة إليه أشعري . غافق : قبيلة أزدية يمنية .
 ٢ نشرها : ريحها المنتشر . تغل به : أي يدخل طيه في ثيابها . أردانها : أصول أكامها .
 المرافق : السواعد .

٣ وجه الكلام : تقوم به إذا قامت من فراشها .

٤ تيماء : بلاد جميل وبثينة .

٥ والخلائق : أي وخلانها بخيلة .

وماذا عسى الواشُونَ أَنْ يتحدَّثُوا . سوى أَنْ يقولوا إِنِّي لَكَ عَاشِقٌ ؟
نعم ، صدقَ الواشُونَ ، أَنْتِ كَرِيمَةٌ عَلَيَّ ، وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكَ الْخَلَائِقُ !

•

وما صائب

روي أنه لما اشتهرت بثينة بحب جميل لها ، اعترضه عبيد الله بن قطبة أحد بني الأحب ، وهو من رهطها الأذنين ، فهجاه ، فرد عليه جميل فغلبه ، فاستعدى بنو الأحب عليه عامر بن ربمي بن دجاجة ، وكان والياً على بلاد عذرة ، وقالوا : يهجوننا ويفشي بيوتنا وينسب بنسائنا فأباحهم دمه ، وطلب جميل فهرب منه ، وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعاً ، فقال في ذلك :

وما صائبٌ من نابلٍ قذفتُ به يدٌ ، ومُمرُّ العُقدَتَيْنِ وثيقٌ^١
له من خواني النسرِ حمٌ نظائرٌ ، ونصلٌ ، كِنَصْلِ الزاعبي ، فتقيقٌ^٢
على نبعةٍ زوراءَ ، أمّا خِطامُها فمتنٌ ، وأمّا عودُها فعتيقٌ^٣
بأوشكَ قتلاً منك يومَ رميتني نوافِذَ ، لم تظْهَرْ لهنَّ خُروقٌ^٤
تفرّقَ أهْلانا ، بُثْنِ ، فمنهمُ فريقٌ أقاموا ، واستمرَّ فريقٌ^٥
فلو كنتُ خواراً ، لقد باحَ مُضمري ، ولكنني صُلْبُ القنّاةِ عريقٌ^٦
كأن لم نُحاربْ ، يا بُثْنِ ، لو أنّه تكشّفُ غمّاها ، وأنتِ صديقٌ !

١ الصائب : أي سهم صائب . النابل : صاحب النبل . الممر : الشديد القتل . وأراد بمرر العقدتين وتر القوس .

٢ الخواني : الريش الصغار تحت القوادم . حم ، جمع أحمر : وهو الأسود . نظائر : مشابهة . ويريد بذلك الريش الذي يراش به السهم . الزاعبي : الرمح . الفتقيق : الحاد .

٣ النبعة : شجرة تتخذ منها القسي ، والمراد بالنبعة القوس بعينها . زوراء : معوجة . الخطام : وتر القوس . متن : قوي . عتيق : قديم .

٤ بأوشك : بأسرع .

غير ناس !

مَنَعَ النّومَ شِدَّةُ الاِشْتِياقِ ، وادّكارُ الحبيبِ بعدَ الفِراقِ
ليتَ شعري ، إذا بُشِيتُ بانْتِ ، هل لنا ، بعدَ بَينِها ، من تَلاقٍ ؟
ولقد قُلتُ ، يومَ نادى المُنادي ، مُسْتَحِثّاً بِرِحْلَةٍ وانطِلاقِ :
ليتَ لي اليومَ ، يا بُشِيتُ منكم ، مَجلِساً للوداعِ قبلَ الفِراقِ !
حيثُ ما كنتمُ وكنتمُ ، فإني غيرُ ناسٍ للعهدِ والميثاقِ

ما أشهى وأطيب !

أزعم جميل مرة فراق بثينة فقالت له : ادن
مني ، فدنا ، فأسرت إليه كلاماً ففشي عليه ،
ثم أفاق فقال :

ألا أيتها الربيعُ الذي غيَّرَ البلى ، عفا وخلا ، من بعد ما كان لا يخلو
تَذَابُ رِيحُ المسكِ فيه ، وإنما به المسكُ إن مرَّتْ به ذَيْلُهَا جُمْلُ^١
وما ماءُ مُزْنٍ من جِبَالٍ مَنِيْعَةٍ ، ولا ما أَكْنَتْ، في مَعَادِنِهَا، النحلُ
بأشهى من القولِ الذي قلتِ، بعدما تَمَكَّنَ من حَيَزُومٍ نَاقِيِ الرَّحْلِ^٢
فما روضةٌ بالخَزْنِ صَادٍ قَرَارُهَا ، نَحَاهُ من الوَسْمِيِّ ، أو دَيْمٍ هُطْلُ^٣
بأطيب من أردانٍ بَشَنَةٍ مَوْهِنًا ، ألا بل لربَّاهَا، على الروضةِ ، الفَضْلُ^٤

١ تذاب الريح : تجمي . في ضعف من هنا وهنا .

٢ الحيزوم : ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر .

٣ الخزن : ضد السهل . صاد : عطشان . نحاه : قصده . الوسمي : مطر أول الربيع . الديم :
الأمطار التي تدوم أياماً .

٤ الموهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه .

ليت شعري !

أَنَحْتُ جَدِيداً عِنْدَ بَشَنَةِ لَيْلَةٍ ، وَيوماً ، أَطَالَ اللَّهُ رَغَمَ جَدِيلٍ ١ !
أَلَيْسَ مُنَاخُ النَّضْوِ يوماً وَلَيْلَةً ، لَبَنَةً ، فِيمَا بَيْنَنَا بِقَلِيلٍ ٢ ؟
بُثَيْنَ ، سَلَّيْنِي بَعْضَ مَالِي ، فَإِنَّمَا ، عِنْدَ الْمَالِ ، كُلُّ بُخِيلٍ
وَأِنِّي ، وَتَكَرَّرِي الزَّيَارَةِ نَحْوَكُمْ ، لَبَيْنَ يَدَيَّ هَجْرٍ ، بُثَيْنَ ، طَوِيلٍ
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي ، هَلْ تَقُولِينَ بَعْدَنَا ، إِذَا نَحْنُ أَزْمَعْنَا غَدًا لِرَحِيلٍ ؟ :
أَلَا لَيْتَ أَيَّاماً مُضِينَ رَوَاجِعٌ ، وَلَيْتَ النَّوَى قَدْ سَاعَدَتْ بِحَمِيلٍ !

١ جدیل : اسم البعير الذي كان يزور عليه بثينة .

٢ النضو : أي البعير المهزول .

تجنيات

خليلي^١ ، إن قالت بُشينة^٢ : ما له أنا بلا وعدٍ ؟ فقولا لها : لها^٣
 أتى ، وهو مشغولٌ لعظمِ الذي به ، ومن بات طولَ الليل ، يرعى السهى سها^٤
 بُشينة^٥ تُزري بالغزاةِ في الضحى ، إذا برزت ، لم تُبقِ يوماً بها بها^٥
 لها مقلّةٌ كحلاء^٦ ، نجلاءُ خِلقة^٧ ، كأنَّ أباهما الطَّبي^٨ ، أو أمَّها مها^٩
 دهني بودٍ قاتلٍ ، وهو مُتلفي^{١٠} ، وكم قتلتُ بالودِّ مَنْ ودَّها ، دها^{١١}

١ لها : غفل .

٢ السهى : كوكب خفي .

٣ الغزاة : الشمس .

٤ النجلاء : العيين الواسعة .

٥ دها : أي دهاء .

أَتَانَا مِنَانَا

وهما قالتا : لَوْ أَنَّ جَمِيلًا عَرَضَ الْيَوْمَ نَظْرَةً ، فَرَأَيْنَا
بَيْنَمَا ذَاكَ مِنْهُمَا ، رَأَيْنِي أَعْمَلُ النَّصِّ سَيْرَةً زَفِيَانَا
نَظَرْتُ نَحْوَ تَرْبِيهَا ، ثُمَّ قَالَتْ : قَدْ أَتَانَا ، وَمَا عَلِمْنَا ، مِنَانَا !

١ النص : السير الجلد الرفيع ، يستخرج فيه أقصى ما عند الناقة من السير . زفیاناً : طرداً سريعاً .

كانت مقاتلتها فصلاً

بثينةُ من صِنْفٍ يُقَلِّبَنَّ أَيْدِيَّ الـ رُماةِ ، وما بِحَمِلِنَّ قَوْساً ولا نَبْلاً
ولكنَّما يَظْفَرَنَّ بالصَّيْدِ ، كلما جَلَوْنَ الثَّنايا الغُرَّ ، والأَعْيُنُ النَّجْلاً
يُخَالِسْنَ مِيعَاداً ، يُرْعَنَ اقْوِها ، إذا نَطَقَتْ ، كانت مقاتلتها فَصْلاً
يَرَيْنَ قَريباً يَبْتَها ، وهي لا تَري ، سوى يَبْتَها ، يَبْتَها قَريباً ، ولا سَهْلاً

لعلها

علقت بثينة حبة الملاي فجفاها جميل وقال :

ورُبَّ حبالٍ ، كنتُ أحكمتُ عقدها ، أتبيح لها واشٍ رفيقٌ ، فحلَّتها
فعدنَّا كأنَّا لم يكن بيننا هوًى ، وصارَ الذي حلَّ الحبالَ هوًى لها
وقالوا: نراها، يا جميلُ، تبدَّلتُ ، وغيرَها الواشي ، فقلتُ : لعلها !

أقل من القليل

أيا رِيحَ الشَّمالِ ، أَمَا تَرِنِي أَهِيْمُ ، وَأَنِّي بَادِي النُّحُولِ ؟
هَبِّي لِي نَسَمَةً مِنْ رِيحِ بَنِي ، وَمُنِّي بِالْهُبُوبِ عَلَى جَمِيلِ !
وَقُولِي : يَا بَشِيئَةُ حَسْبَ نَفْسِي قَلِيلُكَ ، أَوْ أَقْلُ مِنْ الْقَلِيلِ !

عجل الفراق

روى صاحب الأغاني أن جميلاً خرج في يوم عيد ، والنساء
إذ ذاك يتزين ويبدو بعضهن لبعض ، ويبدون للرجال ، فوقف
على بثينة وأختها أم الحسير في نساء من بني الأحب ، فرأى منهن
منظراً عجيباً ، وعشق بثينة ، وقعد معهن ، وكان معه فتیان من بني
الأحب ، فعلم أن القوم قد عرفوا في نظره حب بثينة ، ووجدوا
عليه ، فراح وهو يقول :

عَجِلَ الْفِرَاقُ ، وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْجَلِ ، وَجَرَتْ بَوَادِرُ دَمْعِكَ الْمُتَهَلِّلِ
طَرَباً ، وَشَاقَكَ مَا لَقِيتَ ، وَلَمْ تَخَفْ بَيْنَ الْحَبِيبِ ، غَدَاةَ بُرْقَةٍ مِجْوَلِ^١
وَعَرَفْتَ أَنَّكَ حِينَ زُحْتَ وَلَمْ يَكُنْ ، بَعْدُ ، الْيَقِينُ ، وَلَيْسَ ذَاكَ بِمُشْكِلِ
لَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَى بُثَيْنَةَ رَجْعَةً ، بَعْدَ التَّفَرُّقِ ، دُونَ عَامٍ مُقْبِلِ

١ برقة مجول : موضع من جملة برق العرب .

عفة وقناعة

سمت أمة بثينة بها إلى أبيها وأخيها ، وقالت لهما : إن جميلا عندها
الليلة ، فأتياها مشتغلين على سيفيهما ، فوجداهما مجتمعين وجميل
يشكو إليها وجده. ثم عرض لها بشيء مما يجري بين العشاق ، فأنكرته
عليه وقالت : لئن عاودت تعريضا بريية ، لا رأيت وجهي
أبدا . فضحك وقال لها : والله ما قلت هذا إلا لأعلم ما عندك فيه ،
ولو رأيت منك مساعدة ، لضربتك بسيفي ، أو ما سمعت قولي ؟
فقال أبوها لأخيها : قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا
الرجل من لقائنا . فانصرفا وتركاهما .

وإني لأرضى ، من بُثينة ، بالذي لو ابصره الواشي ، لقرت بلبله
بلا ، وبالألا أستطيع ، وبالمنى ، وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله^١
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضي أواخره ، لا نلتقي ، وأوائله^٢

١ رواية الأغاني : وبالأمل المرجو قد خاب آمله .

فيا حسنہا !

فيا حُسْنَهَا ! إذ يغسلُ الدمعُ كُحْلَهَا ، وإذا هي تُذري الدمعَ منها الأناميلُ !
عَشِيَّةَ قالت في العِتَابِ : قتلْتَنِي ؛ وقتلي ، بما قالت هناك ، تُحَاوِلُ
فقلتُ لها : جودي ، فقالت مُجِيبَةً : أَلَجِدُ هذا منك ، أم أنتَ هازلُ ؟
لقد جعلَ الليلُ القصيرُ لنا بكم ، عليّ ، لروعاتِ الهوى ، يَتَطَاوَلُ

العاشق الرديف

ولاني لأستحيي من الناس أن أرى رديفاً لوصلٍ ، أو عليّ رديفُ
وأشربَ رنقاً منك ، بعد مودةٍ ، وأرضى بوصلٍ منك ، وهو ضعيفُ
ولاني للماءِ المخالطِ للقذى ، إذا كثرتْ ورّادُهُ ، لعيوفُ !

نداء الغراب

رحلَ الخليطُ جِمالَهم بِسَوَادٍ ، وحدا ، على إثرِ الحبيبةِ ، حادٍ
ما إنْ شعرتُ ، ولا علمتُ بينهم ، حتى سمعتُ به الغُرابَ يُنادي
لما رأيتُ البينَ ، قلتُ لصاحبي : صدّعتْ مُصدّعةُ القلوبِ فؤادي
بانوا ، وغودِرَ في الديارِ مُتيمٌ ، كَلِفٌ بذكرِكِ ، يا بُشينةُ ، صادٍ

خوف الكاشحين

تذكرَ منها القلبُ ، ما ليس ناسياً ، مَلاحةَ قولٍ ، يومَ قالتْ ، ومعهدا :
فإن كنتَ تهوى أو تُريدُ لقاءنا ، على خلوةٍ ، فاضربْ ، لنا منك ، موعدا
فقلتُ ، ولم أملكْ سوابقَ عبْرَةٍ : أحسنُ ، من هذي العشيّةِ ، مَقعدا ؟
فقلتُ : أخافُ الكاشحينَ ، وأتقي عيوناً ، من الواشينَ ، حولي ، شُهّدا

منية واحدة

يُكذِّبُ أقوالَ الوشاةِ صدودُها ، ويحتازُها غني ، كأنْ لا أُرِيدُها
وتحتَ مجاري الدَّمعِ منّا مودَّةٌ ؛ تُلَاحِظُ سِرّاً ، لا يُنادي وَلِيدُها
رَفَعْتُ عن الدُّنيا المُنَى غيرَ وُدِّها ، فما أَسألُ الدُّنيا ، ولا أَسْتَرِيدُها !

ألا يا غرابَ البين

ألا يا غرابَ البين ، فيمَ نصيحُ ؟ فصوتُكَ مَشْنِيٌ إِلَيَّ ، قَبِيحُ^١
وكلَّ غداةٍ ، لا أبا لك ، تنتحي إِلَيَّ ، فتلقاني ، وأنتَ مُشِيحُ^٢
تحدثني أن لستُ لافي نعمةٍ ، بَعِدْتُ ، ولا أُمسى لَدَيْكَ نصيحُ^٣ !
فإن لم تَهْجُتني ، ذات يومٍ ، فإنه سيكشفُكَ ورقاءُ السَّراةِ ، صدُوحُ^٤

١ مشني : مكروه .

٢ مشيح : حذر .

٣ بعدت بكسر العين : هلكت .

٤ الورقاء : الحمامة . السراة : موضع .

شربة مربية

هل الحائمُ العطشانُ مُسَقًى بشربةٍ . من المزنِ ، تُروي ما به ، فتريحُ ؟
فقلت : فَنَخْشِي ، إن سقيناك شربةً ، تُخَبِّرُ أعدائي بها ، فتبوحُ
إذنْ ، فأباحني المنايا ، وقادني . إلى أجلي ، عَضَبُ السلاح ، سَفوحُ^١
لبئسَ ، إذنْ ، مأوى الكريمةِ سرُّها ، وإني ، إذنْ ، من جَبكم ، لَصَحِيحُ^٢

١ عَضَبُ السلاح : قاطعه ، وهو السيف .

٢ صحيح : أي صحيح القلب والجسم .

قتيل الغانيات

وما بكتِ النساءُ على قتيلٍ ، بأشرفٍ من قتيلِ الغانياتِ
فلما ماتَ من طَرَبٍ وسُكْرِ ، رددنَ حياتَه بالمُسَمِّعاتِ^١
فقامَ يجرُّ عِطْفِيهِ خُمَاراً ، وكان قَرِيبَ عَهْدٍ بالمَمَاتِ^٢

١ المسمعات : الغنيات .

٢ خماراً : سكرأ .

حلفة صادق

حلفتُ بها بالبُدنِ تَدْمَى نُحُورُها : لقد شَقِيتَ نفسي بكم ، وعُنيتُ^١
حلفتُ يميناً ، يا بُشِينَةُ ، صادقاً ، فإن كنتُ فيها كاذباً ، فعميتُ !
إذا كان جِلْدُ غيرِ جِلْدِكِ مَسْتِي ، وباشَرَنِي ، دونَ الشعارِ ، ثَرِيتُ^٢
ولو أنْ داعٍ منكِ يدعو جِنَازَتِي ، وكنتُ على أيدي الرِّجالِ ، حَيَّيتُ

١ البدن : ما يهدى من النوق إلى مكة ليضحي به .

٢ الشعار : الثوب الذي يلي الجسد . ثريت : أصابني الثرى ، وهو يثور صفار حمر في الجلد ، .
حكاكة مكربة .

أرينا

بشينةُ قالتُ : يا جميلُ ، أربتني ، فقلتُ : كِلانَا ، يا بُشِين ، مُريبُ
وأرِيبُنَا مَن لا يُؤدِّي أمانةً ، ولا يَحْفَظُ الأسرارَ حينَ يَغِيبُ
بعيدٌ على من ليسَ يطلبُ حاجةً ، وأما على ذي حاجةٍ فقريبُ

أَلذِ الْعِتَابِ

رَدِ الْمَاءَ مَا جَاءَتْ بِصَفْوٍ ذَنَائِبُهُ ، ودَعَهُ إِذَا خِيضَتْ بِطَرَقٍ مَسَارِبُهُ^١
أَعَاتِبُ مَنْ يَحْلُو لَدِي غَتَابُهُ ، وأَتْرَكَ مَنْ لَا أَشْتَهِي ، وَأُجَانِبُهُ
وَمِنْ لَذَةِ الدُّنْيَا ، وَإِنْ كُنْتَ ظَالِمًا ، عَنَاقُكَ مَظْلُومًا ، وَأَنْتَ تُعَاتِبُهُ

١ الذنائب ، جمع ذنوب : وهي الدلو العظيمة . خيضت : خلطت . الطرق : أن تبول الإبل وتبعر بالماء فتكدره .

بدلت غيرك من قلب

قال جميل لما بعد عن بثينة ، وخاف السلطان :

ألا قد أرى ، إلاّ بثينة ، للقلب ، بوادي بدّي ، لا بحسنى ولا شغب^١
ولا براقٍ قد تيممت ، فاعترف لما أنت لاقٍ ، أو تنكّب عن الركب^٢
أفي كلّ يوم أنت مُحدثُ صَبوةٍ ، تموتُ لها ، بدلتُ غيرَكَ من قلبٍ !

.....

- ١ بدّي : واد لبّي عامر بنجد . حسنى : أرض بينها وبين وادي القرى ليلتان ، ووادي القرى موطن جميل وبثينة . الشغب : قرية خلف وادي القرى .
٢ براق : موضع قرب وادي القرى ، ويعرف براق ثجر . تيممت : قصدت وتوخيت . والتيمم أيضاً : مسح الوجه واليدين بالتراب للصلاة عند عدم الماء .

وقفة على الديار

إنّ المنازلَ هتجتْ أطراي ، واستعجمتْ آياتُها بجوابي^١
ققرأ تلوح بذي اللّجينِ ، كأنّها أنضاءُ رسمٍ ، أو سطورُ كتابٍ^٢
لما وقفتُ بها القلوصَ ، تبادرتْ مني الدموعُ ، لفُرقةِ الأحبابِ^٣
وذكرتُ عصراً ، يا بُشينةُ ، شافني ، وذكرتُ أيّامي ، وشرخَ شبّابي

-
- ١ الأطراب ، جمع طرب : وهي خفة تلمق الانسان من فرح أو حزن ، وهنا بمعنى الحزن .
استعجت : سكنت وعجزت عن الكلام . آياتها : علاماتها .
٢ ذو اللجين : موضع . الانضاء : الباليات .
٣ القلوص : الناقة الشابة .

ارحميني

ارحميني ، فقد بليتُ ، فحسبي بعضُ ذا الداءِ ، يا بُشينةُ ، حسبي !
لامني فيكِ ، يا بُشينةُ ، صَحبي ، لا تلوموا ، قد أقرَحَ الحُبُّ قلبي !
زعمَ الناسُ أنّ دائيَ طِبي ، أنتِ ، واللهِ ، يا بُشينةُ ، طِبي !^١

١ دائي : أي حبي ، والمراد أن يحب غيرها .

ثغر بثينة

بثغرٍ قد سُقِينَ المسكَ منه^١ مَسَاوِيكُ البَشَامِ ، ومن غُرُوبِ^٢
ومن مَجْرَى غَوَارِبِ أَقْحُوَانٍ ، شَتَيْتِ النَّبْتَ ، في عامٍ خَصِيبٍ^٣

-
- ١ مساويك : نائب فاعل لسقين ، على لغة قليلة . البشام : شجر عطر تتخذ منه المساويك . الغروب ، جمع غرب : وهو كثرة الريق وبلله .
٢ الغوارب : أعالي الماء . الأقحوان : زهر البابونج ، تشبه به الأسنان في بياضها وانتظامها .
٣ شتيتِ النبات : متفرق النبات غير مترابط . في عام خصيب : أي أقحوان منور ند .

أخو الحبيب

وقالوا : يا جميلُ ، أتى أخوها ، فقلت : أتى الحبيبُ أخو الحبيبِ
أحبُّكَ أن نزلتَ جبالَ حِسمى ، وأن ناسبتَ بَشَنَةً من قريبٍ

طيف بثينة

أمنكِ سرى ، يا بَشَنَ ، طيفُ تأوِّبا ، هُدُوءاً ، فهاجَ القلبَ شوقاً ، وأنصَباً؟
عجبتُ له أن زار في النومِ مَضْجَعِي ، ولو زارني مُسْتَقِظاً ، كان أعجباً

١ حسمى : أرض بينها وبين وادي القرى ليلتان . ناسبت بَشَنَةً : أي كنت نسيباً لها .

٢ تأوب : رجع . هُدُوءاً : ليلاً . أنصب : أتمب .

أول الحب

قيل إن جميلاً أقبل يوماً بابلهُ ، حتّى أوردّها وادياً
يقال له بغيض ، فاضجع وأرسل إبله مصعدة ، وأهل
بثينة بذيل الوادي . فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين ،
فمرتتا على فصال لجميل بروك ، فضربتن بثينة ،
وكانت حينئذ جورية لم تدرك . فسبها جميل ،
فسبته ، فملح إليه سبابها وأحبها . وفي ذلك يقول :

وأولُ ما قادَ المودّةَ بيننا ، بوادي بَغِيضٍ ، يا بُثَيْنَ ، سِبابُ
وقلنا لها قولاً ، فجاءتْ بِمِثْلِهِ ، لكلّ كلامٍ ، يا بُثَيْنَ ، جوابُ

أوجه الناس

ليت شعري ، أجفوةٌ أم دلالٌ ، أم عدوٌّ أتى بُئينةً بعدي
فمُرِّي ، أطعك في كلِّ أمرٍ ، أنتِ ، واللهِ ، أوجهُ الناسِ عندي !

لا تعجب

أتعجبُ أنْ طرِبْتُ لصوتِ حادٍ . حَدا بُزْلاً يَسِرْنَ بِيطنٍ وادٍ ١؟
فلا تعجبُ . فإنَّ الحُبَّ أَمْسَى . لبِئْنةً . في السَّوادِ من الفُؤادِ ٢

١ البزل : الإبل .

٢ السواد : حبة القلب .

طالما رضىنا

قفي، تَسْلُ عَنْكَ النفسُ بِالْخَطَةِ الَّتِي تُطِيلِينَ تَخْوِيفِي بِهَا ، ووعيدي
فقد طالما ، من غيرِ شَكْوَى قبيحةٍ ، رضىنا بِحُكْمٍ مِنْكَ غَيْرِ سَدِيدٍ

أنت وقلبك

أَتَهْجُرُ هَذَا الرَّبْعَ ، أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ ، وَكَيْفَ يُزَارُ الرَّبْعُ قَدْ بَانَ عَامِرُهُ ؟^١
رَأَيْتَكَ تَأْتِي الْبَيْتَ تُبْغِضُ أَهْلَهُ ، وَقَلْبُكَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ

١ بَانَ : بعد . عامره : أهله .

من يضير ؟

يطولُ اليومُ إن شحطت نواها ، وحولُ ، نلتقي فيه ، قصيرُ
وقالوا : لا يضيرُك نأيُ شهرٍ ، فقلتُ لصاحبي : فمنُ يضيرُ ؟

الحب العذري

لا والذي تسجدُ الجباهُ له ، ما لي بما دونَ ثوبها خبرُ
ولا بفيها ، ولا هممتُ به ، ما كانَ إلّا الحديثُ والنظرُ

١ شحطت : بعدت .

جلوة أم منظور

مر جميل بدار بئينة ، راكباً ناقته ، وقد جلّتها وزينتها
عجوز لها اسمها أم منظور ، فجعل ينظر إليها بمؤخر عينه
ولا يلتفت إليها ، حتى غاب عنها . وفي ذلك يقول :

ما أنسَ ، لا أنسَ منها نظرة سلفت ، بالحجر ، يومَ جلّتها أم منظور^١
ولا انسلاّبها ، خرساً جبائرها ، إليّ ، من ساقط الأرواق ، مستور^٢

لم يقربا ريبة

وكان التفرّق عند الصّباح ، عن مثل رائحة العنبر
خليلان ، لم يقربا ريبة ، ولم يستخفّا إلى منكر

١ الحجر : موضع قرب وادي القرى .

٢ انسلاّبها : إسراعها . الجبائر : الأساور ، وقوله : خرساً جبائرها ، أي لا يسمع لأساورها صوت لمن مصمبها . الأرواق : الأستار ، واحدها روق .

زوري واعجلي

يا بئنَ حَيِّي، أو عِدِّي، أو صلي، وهوتي الأمرَ ، فزوري واعجلي
بُشِينَ ، أيتاً ما أردتِ ، فافعلي ، إني لآتي ما أَشأتِ مُعتلي

لا مرحباً ببغدا

يا عاذليّ ، من الملامِ دعاني ، إنّ البليّةَ فوقَ ما تَصِفَانِ
زعمتُ بشينّةُ أنّ فُرقتنا غداً ، لا مرحباً ببغدا ، فقد أبكاني

١ أَشأت : أَلْجأت ، والمراد إني لآتي ما أَلْجأتني إليه مُعتلياً .

ولا تجعليني أسوة العبد

بلغ جميلاً أن بثينة علقت حجنة
الهلالي ، واستبدلته به ، فجفاها .
وقال في ذلك :

فيا بثنّ ، إن واصلتِ حُجْنَةَ ، فاصرِمِي حبالي ، وإن صارمتهِ ، فصليّني
ولا تجعليني أسوةَ العبدِ ، واجعلي ، مع العبدِ ، عبداً مثله ، وذريّني !

أغراض مختلفة

قد علم الأعداء

هاجى عبيد الله بن قطبة المذري جميلاً، فهجاه جميل واستعلى عليه، فأعرض عنه عبيد الله . واعترضه أخوه جواس بن قطبة زوج أم الحسين أخت بثينة ، وكان جميل يذكرها في شعره ، فهجاه وذكر أختاً له فقال فيها :
إلى فخذها العبلتين ، وكانتا ، بمهدي ، لفاوين ، أردفتا ثقلا
وكان جميل يحقره ولا يهاجيه ، حتى قال ذلك ، فغضب وواعده للمرازة. فحضر بشر كثير في وادي القرى ليسمعوا مرازمتها، فقال جميل:

يا أمّ عبد الملكِ اصْرِميني ، فبِيتي صَرِمِي ، أو صِليني^١
أبكي ، وما يُدريكِ ما يبكيني ، أبكي حِذاراً أن تُفارقيني
وتجعلي أبعدَ مِنِّي دوني ، إنَّ بني عمكِ أوعَدوني
أن يقطعوا رأسي ، إذا لَقُوني ، ويقتلوني ، ثمَّ لا يَدُوني^٢
كلّاً ، ورَبَّ البيتِ ، لو لَقُوني شَفَعاً ووترأ ، لتَوَاكَلوني^٣ !
قد علم الأعداءُ أنَّ دوني ضرباً ، كإيزاغِ المخاضِ الجُونِ^٤؛

١ أم عبد الملك : كنية بثينة .

٢ يدوني : يؤدون ديني .

٣ الشفع : الزوج . الوتر : الفرد . تَوَاكَلوني : أي وكلني بعضهم إلى بعض خوفاً مني .

٤ الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة . المخاض : الحوامل من النوق ، أو التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر . الجون : السود .

أَلَا أَسُبُّ الْقَوْمَ ، إِذْ سَبَّوْنِي ؟ بلى ، وما مرَّ على دَفِينٍ^١
 وسابحاتٍ بِلَوَى الْحَجَّوْنَ ، قد جَرَّبُونِي ، ثُمَّ جَرَّبُونِي^٢
 حَتَّى إِذَا شَابُوا وَشَيَّبُونِي ، أَخْزَاهُمُ اللَّهُ ، وَلَا يُخْزِينِي !
 أَشْبَاهُ أَعْيَارٍ عَلَى مَعِينٍ ، أَحْسَسَنَ حِسَّ أَسَدٍ حَرُونٍ^٣
 فَهَنْ يَضْرِطَّنَ مِنَ الْيَقِينِ ، أَنَا جَمِيلٌ ، فَتَعَرَّفُونِي !^٤
 وَمَا تَقَنَّنْتُ ، فَتُنْكِرُونِي ، وَمَا أَعْنَيْكُمْ ، لَتَسْأَلُونِي^٥
 أُنْمِي إِلَى عَادِيَّةٍ طَحُونٍ ، يَنْشَقُّ عَنْهَا السَّيْلُ ذُو الشَّوْنِ^٦
 غَمْرٌ ، يَدُقُّ رُجُحَ السَّفِينِ ، ذُو حَدَبٍ ، إِذَا يُرَى ، حَجَّوْنَ^٧
 تَنْحَلَّ أَصْفَادُ الرِّجَالِ دُونِي

- ١ دفين : موضع . وقوله : وما مر على دفين ، والمراد ما مر من الحجاج إلى بيت الله الحرام .
- ٢ وسابحات : مطوف على وما مر ، وهي الخيل لسبحها بيديها . اللوى : ما التوى من الرمل . الحجون : جبل بأعلى مكة .
- ٣ الأعيار ، جمع عير : وهي الحمار الوحشي . المعين : الماء الجاري على وجه الأرض . حرون : أي لا يبرح مكانه .
- ٤ اليقين : الموت ، أي يضرب من خوف الموت .
- ٥ أعنيكم : أؤذيكُم ، وأحزنكم ، وأكلفكم ما يشق عليكم .
- ٦ العادية : القديمة ، أي قبيلة قديمة . الشئون : الخطوب والأمور ، والمراد أن هذه القبيلة قوية عظيمة كالسيل الجارف .
- ٧ الغمر : الماء الكثير . يدق : يكسر ، أو يضرب ويهشم . رجح السفين : السفن الثقيلة الموقرة . الحدب : ارتفاع السيل وتراكبه في جريه . الحجون : البعيد الطويل ، أو الذي يجري في غير الطريق التي يرى أنه يجري فيها .

مدح ابن مروان

قال يمدح عبد العزيز بن مروان حين وفد عليه في مصر :

إلى القَرَمِ الذي كانت يداه ، لفعلِ الخيرِ ، سَطَوَة مَن يُنِيلُ^١
 إذا ما غاليَ الحمدِ اشتراه ، فما إن يستقيل ولا يُقِيلُ^٢
 أمينُ الصدرِ ، يحفظُ ما تولّى ، بما يكفي القويُّ به ، النبيلُ^٣
 أبا مروانَ ، أنتَ فتى قريشٍ ، وكهْلُهُمْ ، إذا عُدَّ الكهولُ
 تولّيه العشرةُ ما عَناها ، فلا ضَيِّقُ الذراعِ ، ولا بجِيلُ^٤
 إليك تُشِيرُ أيديهم ، إذا ما رُمُوا ، أو غَالَهُمْ أمرٌ جليلُ^٥
 كِلا يَوْمِيهِ بالمعروفِ طَلَقُ ، وكلُّ بلائِهِ حَسَنٌ جميلُ^٥
 تمايلَ في الذُّؤَابَةِ من قُرَيْشٍ ، ثَنَاهُ المجدُ ، والعِزُّ الأثيلُ^٥
 أرومٌ ثابتٌ ، يهتَزُّ فيه ، بأكرمِ مَنبِتٍ ، فرَعٌ طويلُ^٥

١ القرم : السيد .

٢ يستقيل : يطلب فسخ البيع . يقيل : يفسخ البيع .

٣ عناها : شق عليها ، وأحزنها .

٤ ثناه : أماله .

٥ الأروم : الأصل .

فان نحن أومأنا

ونحنُ منعنا يومَ أولِ نساءنا ، ويومَ أفَيَّ ، والأسِنَّةُ ترَعُفُ^١
ويومَ ركايَا ذي الجَدَاةِ ، ووقعةٍ ببَنِيانَ كانتَ بعضَ ما قد تَسَلَفُوا^٢
يُحِبُّ الغواني البيضُ ظِلَّ لوائنا ، إذا ما أتانَا الصارخُ المثلَهفُ^٣
نسيرُ أمامَ الناسِ ، والناسُ خَلَفَنَا ، فإن نحنُ أومأنا إلى الناسِ ، وقَفُوا^٤
فأيُّ مَعَدٍّ كانَ فَيَّ رِماحِهِم كما قد أفأنا ، والمُفَاخِرُ يُنصِفُ^٥
وكنَّا إذا ما مَعَشَرُ نَصَبُوا لَنَا ، ومَرَّتْ جَواري طيرِهِمُ ، وتَعَيَّفُوا^٦
وَضَعْنَا لَهُم صَاعَ القِصَاصِ رَهينَةً ، ونحنُ نُوفِيها ، إذا الناسُ طَفَفُوا^٧
إذا استَبَقَ الأَقْوَامُ مَجْدًا ، وجدَتْنَا لَنَا مِغْرَفًا مَجْدٍ ، وللناسِ مِغْرَفُ

١ أول : واد بين مكة واليمامة . أي : موضع . ترعف : تقطر دماً .

٢ الركايَا ، جمع ركية : وهي البر ذات الماء . ذو الجدَاة : موضع في بلاد غطفان ، ويقال أيضاً الجَدَاة بالذال المعجمة . بنِيان : قرية باليمامة . تسلفوا : اقترضوا ، وأكلوا السلفة ، وهي ما يجعل الرجل من الطعام قبل الغداء . وكلا المعنيين يؤخذ هنا على المجاز .

٣ هذا البيت سرقة الفرزدق وجعله في ملحمة .

٤ فأيُّ معد : أي أي قبائل معد ، ومعد مجموع القبائل العدنانية . وجميل من بني عذرة ، وهي قبيلة قحطانية ، فهو هنا يفاخر العدنانية . الفَيَّ : الغنيمة . أفأنا : يقال أفأنا كذا ، أي صيرنا شيئاً .

٥ نصبوا لنا : عادونا . تعيَّفوا : زجروا الطير ليتفاءلوا أو يتشاهموا بطيراتها .

٦ الصاع : مكيال . طففوا : نقصوا المكيال .

بِرَزْنَا وَأَصْحَرْنَا لِكُلِّ قَبِيلَةٍ ، ، بِأَسْيَافِنَا ، إِذْ يُؤَكِّلُ الْمُتَضَعَّفُ^١
 وَنَحْنُ حَمِينَا ، يَوْمَ مَكَّةَ ، بِالْقَنَا ، قُصَيًّا ، وَأَطْرَافُ الْقَنَا تَنْقَصُّ^٢
 فَحُطْنَا بِهَا أَكْنَافَ مَكَّةَ ، بَعْدَمَا أَرَادَتْ بِهَا ، مَا قَدِ ابْنَى اللَّهُ ، خِنْدِفُ^٣

١ أصحرنَا : برزنا إلى الصحراء . والمراد أنهم باثروا القتال في العراء .

٢ قصي : الجذالجامع لقريش ، ويلقب المجمع .

٣ خندف : القبائل المضرية التي ترجع إلى الياس بن مضر ، وتعرف باسم أمها خندف .

مدح وهجاء

هجا جعفر بن سراقه أحد بني قره بني عذرة ،
فاتقاه جميل ، وعلم أنه سيملو عليه ، ورأى أن
يدفع هجاءه بمدحه ، فمدحه وهجا بني عامر وبني
لأي . وكانت بنو عامر قد قلت فحالفت لأياً
فقال جميل :

بني عامر ، أنتى انتَجَعْتُمْ وكنتم ، إذا حُصِّلَ الأَقْوَامُ ، كالخُصِيَةِ الْفَرْدِ
فأنتم ولأي مَوْضِعَ الدَّلِّ حَجَرَةٌ ، وقُرَّةُ أُولَى بِالْعَلَاءِ وبالمجدِ

أحب المخازي

كان عمير بن رمل شاعراً من بني الأحب رهط
بثينة ، فهجا جميلاً لاشتهارها بحبه إياها ، فقال
فيه جميل :

إذا الناس هابوا خزنية ، ذهبتُ بها أحبُّ المخازي : كهلنُها ووليدُها
لعمُر عَجوزٍ طرقتُ بك إني . عمير بن رمل ، لابنُ حربٍ أقودها^١
بنفسي ، فلا تقطعُ فؤادك ضيلةً ، كذلك حَزني : وعِشها وصُعودُها^٢

١ طرقت المرأة : إذا كانت ولادتها عسرة ، فيعلق ولدها ولا يسهل خروجه .

٢ الحزن : ضد المهل . الوعث : الطريق العسر .

أقود من شئت

كان جميل مع الوليد بن عبد الملك في سفر ،
والوليد على نجيب ، فقال الوليد لجميل : انزل فارجز .
وظن الوليد أنه يمدحه . فنزل جميل يرجز ويفتخر .
فقال له الوليد : اركب ، لا حملك الله ! وفي ذلك
قول جميل :

أنا جميلٌ في السنامِ من معدٍّ ، في الذروةِ العلياء ، والركن الأشد^١
والبيت من سعدٍ بن زيدٍ والعدد^٢ ، ما يتبغي الأعداءُ مني ، ولقد^٣
أضري بالشمٍ لساني ومرد^٤ ، أقودُ من شئتُ ، وصعبٌ لم أقد^٥

١ في السنام : أي في المكان العالي .

٢ أضري : ألهج . مرد : أقدم وعتا ، فهو مارد ومترد .

سارق الضيف

قال مهبو الشماخ بن ضرار النطفاني الشاعر :

أبوكَ حُبَابٌ، سارقُ الضيفِ بُردَه، وجدِّي، يا شَمَاخُ، فارسُ شَمَرَا
بنو الصالحينَ الصالحونَ ، ومن يكنْ لآباءِ سوءٍ ، يلقَهُمُ حيثُ سُبُرا
فإن تغضَبوا من قِسْمَةِ اللهِ فيكمُ ، فللَّهْ ، إذ لم يُرضِكمُ ، كان أبصَرا

١ شعر : فرس جد جميل اشتهر بها .

اعتداده بسيفه

حذرت بثينة جيلا من مفاجأة أهلها لها . وقد رآها
غلام زوجها مجتمعين في خبائها فقال غير مكترث
لما خوفته منه :

لَعَمْرُكَ ، ما خوفتني من مَخَافَةٍ ، بُثَيْنَ ، ولا حَدَرْتَنِي مَوْضِعَ الْحَدَرِ
فَأَقْسِمُ ، لا يُلْفَى لِي الْيَوْمَ غَيْرَةٌ ، وفي الْكَفِّ مِنِّي صَارْمٌ قَاطِعٌ ذَكَرُ

أذل قوم

كان عبد الله بن ممر أبو جميل يلقب صباحاً ، وكان عبيد الله
ابن قطبة يلقب حماماً . فقال النخار المذري أحد بني الحارث بن
سعد : قطبة كان خيراً من صباح . فقال جميل يهجو بني الأحب
رهط قطبة ورهط بثينة ، ويهجو النخار :

إِنَّ أَحَبَّ سُفَّلٍ أَشْرَارُ ، حُثَالَةٌ ، عَوْدُهُمْ خَوَارُ
أَذَلُّ قَوْمٍ ، حِينَ يُدْعَى الْجَارُ ، كَمَا أَذَلَّ الْحَرثَ النَّخَارُ

١ الحثالة : ولا خير فيه ، والردية من كل شيء .

ولو دعا الله

خرج مروان بن الحكم مسافراً في نفر من قريش، ومعه جميل، فقال له : انزل فأرجز بنا ، وهو يريد أن يمدحه ، فنزل جميل فرجز مفتخراً . فقال له مروان : عد عن هذا ! فقال جميل يتلهف على البيت المدي ، وبنو أمية من معد ، فقال له مروان : اركب لا ركبت . وذلك قوله :

لَهْفًا عَلَى الْبَيْتِ الْمَدِيِّ لَهْفًا ، مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَدْ اسْتَكْفًا^١
ولو دعا الله ، وَمَدَّ الْكَفًّا ، لَرَجَفَتْ مِنْهُ الْجِبَالُ رَجْفًا

١ استكف : اجتمع واستمسك ، واستكف أيضاً : مد يده بالصدقة .

عاشق أكل

رأى جميل أعرابياً يسمى جعفرأ ، وبين يديه رغيف
يأكله بهم ، وهو يبكي ويشكو غرامه ، فقال :

وَيُعْجِبُنِي مِنْ جَعْفَرٍ أَنْ جَعْفَرًا . مُلِحَ عَلَى قُرْصٍ ، وَيَبْكِي عَلَى جُمْلٍ
فَلَوْ كُنْتُ عُنْدِيَّ الْعَلَاقَةَ ، لَمْ تَكُنْ بَطِينًا ، وَأَنْسَاكَ الْهُوَّى كَثْرَةَ الْأَكْلِ^١

١ العلاقة : المحبة .

نعي جميل

قيل لما حضرت جميلا الوفاة ، وهو في مصر ، دعا برجل ، وقال له : هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه ، عل أن تفعل شيئا أعهد به إليك ؟ قال : نعم . قال : إذا مت ، فخذ حلتي هذه ، واعزها جانباً ، وكل شيء سواها لك ؛ وارحل إلى رهط بثينة على ناقتي هذه ، والبس حلتي هذه إذا وصلت ، واشققها ، ثم اعل على شرف وصح بهذه الأبيات . فلما أتى الرجل وأنشد الأبيات ، برزت بثينة ، وقالت : يا هذا ، إن كنت صادقاً فقد قتلني ؛ وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . فقال : ما أنا إلا صادق . وأراها الحلة . فصاحت وصكت وجهها ، فاجتمع نساء الحي يبكين معها ، حتى صمقت ، فمكثت مغشياً عليها ساعة ، ثم قامت وقالت :

وإن سلوي عن جميل لساعة من الدهر ، ما حانت ، ولا حان حينها
سواء علينا ، يا جميل بن معمر ، إذا مت ، بأساء الحياة وليهنأ
وهذه أبيات جميل ينعي بها نفسه :

صدعَ النعيُّ ، وما كنى بجميلٍ ، وثوى بمصرَ ثواءَ غيرِ قَقُولٍ^١
ولقد أجرُ الذيلِ في وادي القُرى ، نشوانَ ، بينَ مزارعٍ ونَحِيلٍ^٢
بكرَ النعيِّ بفارسٍ ذي هِمَّةٍ ، بطلٍ ، إذا حُمَّ اللقاءُ ، مُذيلٍ^٣
قُومي ، بثينةُ ، فاندُبني بعويلٍ ، وابكي خليلكِ دونَ كلِّ خليلٍ !

١ صدع : تكلم بالحق جهاراً ، أي صرح النعي بجميل . ما كنى : أي ما ستر ، ولا تكلم بصورة الكناية ، وهي ضد التصريح . ثوى : أقام ، والضمير يعود على جميل . غير ققُول : غير راجع .
٢ ولقد أجر الذيل : التفات إلى المتكلم ، وهو جميل . وجر الذيل : كناية عن التيه والتبخر .
حم : قضي . اللقاء : أي لقاء الأعداء . مذل : مهين ، أي مهين للأعداء .

جذام سيوف الله

كانت أم جميل من بني جذام ، فخرج جميل إلى أخواله ،
ومدحهم ، فأعطوه مائة بكرة ، وذلك حيث يقول في جذام :

جُذَامٌ سِيُوفُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ، إِذَا أُزِمْتُ ، يَوْمَ اللَّقَاءِ ، أَزَامُ^١
هُمْ مُنْعَوًا مَا بَيْنَ مِصْرٍ فَذِي الْقُرَى ، إِلَى الشَّامِ ، مِنْ حِيلٍ بِهِ وَحَرَامُ
بِضْرَبٍ يُزِيلُ الْهَمَّ عَنْ سَكَنَاتِهِ ، وَطَعْنٍ ، كَالِإِزَاغِ الْمَخَاضِ ، تُوَامُ^٢
إِذَا قَصَّرْتُ ، يَوْمًا ، أَكْفُ قَبِيلَةَ عَنْ الْمَجْدِ ، نَالَتْهُ أَكْفُ جُذَامِ

١ أزمْتُ أزام : أي عضت كرهية عضوض ، وهو مبني على الكسر كقطام . اللقاء : أي لقاء الأعداء .
٢ السكنات : جمع سكنة : وهي مقر الرأس من العنق . الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة .
المخاض : الحوامل من النوق ، أو التي أتى عليها . من حملها عشرة أشهر . توام : جمع توأم .

وقیعة سالم

كان جواس بن قطبة المذري متزوجاً أم الحسين أخت بثينة،
فوقع الهجاء بينه وبين جميل ، فغضب لجميل نفر من قومه يقال
لهم بنو سفيان ، فجاؤوا إلى جواس ليلاً ، وهو في بيته ،
وعوروا امرأته أم الحسين في تلك الليلة ، فقال جميل :

وما عَرَ جَوَّاسُ اسْتَهَا إِذْ يَسْبَهُمُ ، بَصَقَرَيَّ بَنِي سَفِيانَ ، قيس وعاصم^١
هما جَرَّداً أُمَّ الحُسَيْنِ ، وأوقعا أُمِّ وأدهى من وقیعةِ سالم^٢

١ عره : ساءه وأصابه بمكروه .

٢ وقیعة سالم : أي سالم بن دارة ، وهو شاعر مخضرم هجاء . هجأ بني فزارة ، وتعرض بالاهانة
لأم دينار وهي أم رجل يقال له زميل بن أبيير ، أحد بني عبد الله بن مناف ، فلقبه زميل خارج
المدينة وضربه بسيفه ضربتين ، وعقر بعيره . فرجع سالم إلى المدينة يتداوى ، ف قيل إن امرأة
لعثمان بن عفان فزارية اسمها بسرة ، دست للطبيب سماً في دوائه فمات ، فانتمت فزارة ،
وانتقم زميل . فهذا ما أراده جميل من وقیعة سالم .

السنام الأعظم

خرج مروان بن الحكم مسافراً في نفر من قریش ، ومعه
جميل بن معمر ، فقال له مروان : انزل فارجز بنا ، وهو
يريد أن يمدحه . فنزل جميل ، ورجز مفتخراً ، فقال مروان : عد عن
هذا ! فرجز متلهفاً على البيت المعدي ، كما مر بنا سابقاً ، فقال له
مروان : اركب لا ركبت ! وهذا قوله في الفخر :

أنا جميلٌ في السنامِ الأعظمِ ، الفارِعِ النَّاسِ ، الأعزُّ الأكرمُ^١
أحمي ذِمَّاري ، ووجدتُ أقرمِي ، كانوا على غاربِ طَوْدٍ خِضْرِمِ^٢
أعنيا على الناسِ ، فلم يُهدِّمِ

١ في السنام الأعظم : أي في المكان العالي . الفارِعِ الناس : أي الذي علاهم بالشرف .
٢ الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته كالعرض والمال وما أشبه . اقرمي : أي سادات قومي ،
واحداهم قرم . الغارب : الكاهل . الخضرم : العظيم الواسع .

أنا جميل

قال أبو عمرو الشيباني : صبح مروان بن الحكم ، فصار بين
يديه جميل بن معمر ، فقال له : أنزل فسق بنا. فنزل جميل وقال
شعراً يذكر فيه بثينة . فقال له مروان : عد عن هذا. فرجز ذاكرة
نفسه ولم يذكر مروان . فأعرض عنه وكلف جواس بن
قطبة العذري وكان في جملة مرافقيه . وهذا رجز جميل :

أنا جميل ، والحجازُ وطني ، فيه هوى نفسي ، وفيه شَجَتي
هذا ، إذا كان السَّباقُ دَيْدَتي^١

١ ديدني : دأبي وعادتي .

وحي الجن

تعرض الأبرق العتيبي لوالد جميل ، ففضل
عليه قطبة والد عبيد الله من بني الأحب رهط
بثينة ، وكان جميل يهاجي عبيد الله وينافسه ،
فقال يهجو الأبرق :

يا ابن الأبرقِ ، وَطَبُّ بَيْتٍ مُسْنِدَهُ إلى وَسَادِكَ ، من حُمِّ الذَّرَى جُونِ¹
وَأَكَلَتَانِ ، إِذَا مَا شِئْتَ مُرْتَفِقًا ، بالسَّيرِ ، من نَغِيلِ الدَّقَيْنِ مَدَهُونِ²
اذْكُرْ ، وَأُمُكْ مَنِي ، حِينَ تَنَكُّبُنِي جِنِّي ، فَيَغْلِبُ جِنِّي كُلَّ مَجْنُونِ³

-
- ١ الوطب : سقاء اللبن من جلد الجذع وهو الفقي من الإبل . الحم : السود . الذرى ، جمع ذروة : وهي سنام البعير . الجون : السود .
٢ مرتفقاً : متفقاً . النغل : الفاسد من الجلد في الدباغ . الدقين : الجنين . مدهون : مدبوغ .
٣ أمك مني : أي أنها من أنسابه بني عذرة . جني : أي شياطين شرعي .

طاب الواديان

لعمري، لقد حسنتِ شغباً إلى بدّا ، وأوطاني بلادٌ سواهما
حللتِ بهذا حلّةً ، ثمّ حلّةً بهذا ، فطاب الواديانِ كلاهما

١ شغب : قرية خلف وادي القرى موطن جميل وبثينة ، أو منهل بين مصر والشام . بدّا : موضع بوادي القرى ، وقيل بوادي عذرة قرب الشام . وقوله : وأوطاني بلاد سواهما ، يريد أنه كان يومئذ بعيداً عنها ، ولعله قال ذلك وهو في مصر .

مفردات الأبيات

قيل إن بثينة علقت حجنة الهلالي بعد ذهاب
جميل إلى الشام ، فلما رجع طلب منها حجنة أن
تعلمه بأنها استبدلت به ، فقالت :

ألم ترَ أن الماءَ غيَّرَ بعدكم ، وأنَّ شِعَابَ القلبِ ، بعدك ، حُلَّتِ؟^١
فأجابها جميل :

فإنَّ تَكُ حُلَّتْ ، فالشَّعَابُ كثيرةٌ ، وقد نَهَلْتُ منها قَلوصي وعلَّتِ^٢
أريدُ لأنسى ذكرَها ، فكأنَّما *
تُمَثِّلُ لي ليلي على كُلِّ مَرَقَبٍ
الدَّيْلُ أذُنَابُ بَكْرٍ حينَ تَنسِبُهُم ، وكلُّ قومٍ لهم من قومِهِم ذَنْبٌ^٣
نَمَتْ في الروابي من مَعَدٍّ ، وأفلجَت *
على الحَفِرَاتِ البِيضِ ، وهي وليدٌ
كُلُّوا اليومَ من رِزْقِ الإلهِ ، وأبشِروا ، فإنَّ على الرَّحمنِ رِزْقَكُمُ غَدًا
كَأَنَّ المَحِبَّ قَصِيرُ الحُفُونِ ، لَطُولِ اللَّيَالِي ، ولم تَقْصُرِ *

١ الشعاب ، جمع شعبة : وهي المسيل في الرمل ، وصدع في الجبل يأوي إليه المطر .

٢ نهلت : شربت أول الشرب دون الري . قلوصي : ناقي الشابة . علت : شربت مرة بعد مرة ، أو الشرب تباعاً .

٣ الدليل : حي من بني حنيفة من بكر بن وائل .

٤ معد : مجموع القبائل العدنانية . أفلجت : فازت . الحفرات : الحيات من النساء .

روي صاحب الأغاني أن جميلا جاء إلى بثينة ليلة بشياب راع ، فوجد عندها ضيفاناً ، فانتبذ ناحية . فسأله : من أنت ؟ فقال : مسكين مكاتب . فجلس وحده ، فمشت ضيفانها وغشته وحده . ثم جلست وجارية لها على صلاتها ، واضطجع القوم منتحين . فقال جميل بيتاً من الشعر . فقالت لجاريتهما : صوت جميل والله ! اذهبي وانظري .

فرجعت إليها فقالت : هو والله جميل ! فشبهت شهقة سمعها القوم ، فأقبلوا يجررون وقالوا : مالك ؟ فطرخت برداً لها في النار وقالت : أحترق بردي ! فرجع القوم . وأرسلت جاريتهما إلى جميل ، فجاءتها به ، فحبسته عندها ثلاث ليال ، ثم سلم عليها وخرج . وهذا هو البيت الذي قاله :

هل البائسُ المَقرورُ دانٍ ، فمُصْطَلٍ من النارِ ، أو مُعطى لِحافاً فلابسُ ؟

بكت بثينة عندما سمعت هذا البيت من جميل وقالت : كلا يا جميل ! ومن ترى أنه يروفي غيرك ؟ وكانا قد اصطلحا بعد تهاجر .

تَظَلُّ وِراءَ السَّترِ تَرَنو بِلَحْظِهَا ، إِذَا مَرَّ مِنْ أَتْرَافِهَا مَن يَرُوقُهَا

نمي إلى أهل بثينة أنه يتحدث إليها إذا خلا منهم ، فرصدوه بجماعة . وجاء على الصباه ناقته ، حتى وقف على بثينة يحادثها وينشدها من شعره . فبينما هو على تلك الحال وثب عليه القوم فرماهم بناقته فسبقته به ، وهو يقول :

إِذَا جَمَعَ الْإِثْنَانِ جَمْعاً ، رَمَيْتُهُمْ بِأَرْكَانِهَا ، حَتَّى تَخْلَى سَبِيلُهَا

أَضَرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ ، حَتَّى كَانَتْهَا بَقَايَا سُلَالٍ ، لَمْ يَدَعْهَا سُلَالُهَا

١ أركانها : أي أركان ناقته .

٢ التهجير : السير في الهجرة عند اشتداد الحر . السلال : السل ، وهو الداء المعروف . يصف ناقته .

جعلوا أقارحَ كلَّها يمينهم ، وهِضابَ بُرْقَةٍ عَسْعَسٍ بِشِمَالٍ^١
 أَضَرَ بِأَخْفَافِ الْبُغَيْلَةِ أَنَهَا ، حِذَارَ ابْنِ رَبِيعِيٍّ ، بَيْنَ رُجُومٍ^٢
 فَإِنْ تَكُ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمِي وَقَوْمِهَا ، فَإِنِّي لَهَا ، فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ، سَلَمٌ^٣
 يَا خَلِيلِي ، إِنَّ بَشَنَةَ بَانَتْ ، يَوْمَ وَرْقَانَ ، بِالْفَوَادِ سَبِيًّا^٣

-
- ١ أقارح ، جمع أقرح بضم الراء : موضع . برقة عسّس : موضع من برق العرب .
 ٢ أخفاف البغيلة : أراد حوافرها . ابن ربيعي : هو عامر بن ربيعي بن دجاجة ، كان عاملاً على وادي القرى ، فشكا إليه أهل بثينة جميلاً ، فهدده وأهدر دمه . فهرب جميل منه متواريّاً . رجوم ، جمع رجم : وهو قذف الحجارة ، والمراد شدة السير وما تقذف حوافرها من الحجارة فيؤثر فيها .
 ٣ ورقان ، بكسر الراء ، ويروى بتسكينها كما في شعر جميل : جبل أسود على يمين المضعد من المدينة إلى مكة ، ذكره ياقوت وأورد شعر جميل .

فهرس المواضع

٥٧	ولا تضيقن سري	٥	جميل بن معمر
٥٨	ليس الحب بدعة		
٥٩	فكيف كبرت ولم تكبري ؟		
٦٠	زورا بثينة !		
٦١	إلى الله أشكو		
٦٢	هل يقتل الحب ؟	١٥	يموت الهوى مني
٦٣	إذا حلت بمصر	١٩	أفي الناس أمثالي
٦٤	نصيبني من الدنيا	٢٢	مسحور
٦٥	ألذ من الدنيا	٢٥	الفرغم المحبوب
٦٦	بين قتل وصلاح	٢٧	وصايا الحبيبة
٦٧	هيام !	٢٩	فيا رب حبيبي إليها
٦٨	أبوء بذنبي	٣١	عاشق محارب
٦٩	حوض العشاق	٣٣	زائر مغامر
٧٠	أفق !	٣٦	إنها نعلي
٧١	الحب أوله لحاجة	٣٨	قاضي الهوى
٧٢	حبلى النوى	٤٠	يأس العاشق
٧٣	أعيذك بالرحمن !	٤٢	سليبي مالي !
٧٤	ما عندنا لك حاجة	٤٥	رهين الذئب
٧٥	طائف الحب	٤٧	لبيك داعي الحب !
٧٦	صدق الواشون	٥٠	أصلي فأبكي
٧٨	وما صائب	٥١	كيف أقول
٧٩	غير ناس !	٥٢	راكب على جملة
٨٠	ما أشهى وأطيب !	٥٤	سعي العواذل
		٥٦	ولو قطعوا رجلي !

- ١٠٩ . جلوة أم منظور - لم يقربا ربية
١١٠ . زوري واعجلى - لا مرحباً بقد .
١١١ . ولا تجعليني أسوة العبد .

أغراض مختلفة

- ١١٥ . قد علم الأعداء .
١١٧ . مدح ابن مروان .
١١٨ . فإن نحن أوماناً .
١٢٠ . مدح وهجاء .
١٢١ . أحب المخازي .
١٢٢ . أقود من شئت .
١٢٣ . سارق الضيف .
١٢٤ . اعتداده بسيفه .
١٢٥ . أذل قوم .
١٢٦ . ولودعا الله .
١٢٧ . عاشق أكل .
١٢٨ . نعي جميل .
١٢٩ . جذام سيوف الله .
١٣٠ . وقيمة سالم .
١٣١ . السنام الأعظم .
١٣٢ . أنا جميل .
١٣٣ . وحي الجن .
١٣٤ . طاب الواديان .
١٣٥ . مفردات الأبيات .

- ٨١ . ليت شعري .
٨٢ . تحنيات .
٨٣ . أتانا منانا .
٨٤ . كانت مقالها فصلا .
٨٥ . لعلها .
٨٦ . أقل من القليل .
٨٧ . عجل الفراق .
٨٨ . عفة وقناعة .
٨٩ . فيا حسناً ! .
٩٠ . العاشق الرديف .
٩١ . فداه للغراب .
٩٢ . خوف الكاشحين .
٩٣ . منية واحدة .
٩٤ . ألا يا غراب البين .
٩٥ . شربة مربية .
٩٦ . قتيل الغايات .
٩٧ . حلقة صادق .
٩٨ . أريننا .
٩٩ . ألد العتاب .
١٠٠ . بدلت غيرك من قلب .
١٠١ . وقفة على الديار .
١٠٢ . ارحمني .
١٠٣ . ثغر بثينة .
١٠٤ . أخو الحبيب - طيف بثينة .
١٠٥ . أول الحب .
١٠٦ . أوجه الناس - لا تعجب .
١٠٧ . طالما رضينا - أنت وقلبك .
١٠٨ . من يضير ؟ - الحب العذري .

فهرس القوافي

ب

- ٦٦ . . . تنادى آل بثنة بالرواح .
 ٦٧ . . . لقد ذرفت عيني وطال سفوحها .
 ٦٨ . . . رمى الله في عيني بثينة بالقذى .
 ٩٤ . . . ألا يا غراب البين فيم تصيح .
 ٩٥ . . . هل الحائم المطشان سقى بشربة .

د

- ١٥ . . . ألا ليت ريعان الشباب جديد .
 ١٩ . . . ألم تسأل الدار القديمة هل لها .
 ٦٩ . . . وعاذلين ألحوا في محبتها .
 ٩١ . . . رحل الخليلط جمالهم بسواد .
 ٩٢ . . . تذكر منها القلب ما ليس ناسياً .
 ٩٣ . . . يكذب أقوال الوشاة صدودها .
 ١٠٦ . . . ليت شعري أجفوة أم دلال .
 ١٠٦ . . . أتعجب أن طربت لصوت حاد .
 ١٠٧ . . . قفي تسل عنك النفس بالخطاة التي .
 ١٢٠ . . . بني عامر أنى انتجعتم وكنتم .
 ١٢١ . . . إذا الناس هابوا خزية ذهب بها .
 ١٢٢ . . . أنا جميل في السنام من معد .

ت

- ٩٦ . . . وما بكت النساء على قتيل .
 ٩٧ . . . حلفت لها بالبدن تدمي نحرها .

ح

- ٢٢ . . . خليلي عوجا اليوم حتى تسلم .
 ٦٥ . . . حلفت لكينا تعلميني صادقاً .

- يا صاح عن بعض الملامة أقصر . . . ٢٥
 أغاد أخي من آل سلمى فمبكر . . . ٢٧
 تقول بثينة لما رأت . . . ٥٩
 زورا بثينة فالحبيب مزور . . . ٦٠
 فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها ٦١
 أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا . . . ٧٠
 لاحت لعينك من بثينة نار . . . ٧١
 أتهدر هذا الربيع أم أنت زائر . . . ١٠٧
 يطول اليوم إن شحطت نواها . . . ١٠٨
 لا والذي تسجد الجباه له . . . ١٠٨
 ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت . . . ١٠٩
 وكان التفرق عند الصباح . . . ١٠٩
 أبوك حباب سارق الصيف برده . . . ١٢٣
 لعمرك ما خوفتني من مخافة . . . ١٢٤
 إن أحب سفل أشرار . . . ١٢٥

ق

- ألم تسأل الربيع الخلاء فينطق . . . ٣٣
 ألم خيال من بثينة طارق . . . ٧٦
 وما صائب من نابل قذفت به . . . ٧٨
 منع النوم شدة الاشتياق . . . ٧٩

ل

- لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي . . . ٣٦
 وقلت لها اعتلت بغير ذنب . . . ٣٨
 ألا من لقلب لا يعمل فيذهل . . . ٤٠
 ألا هل إلى إلمامة أن ألمها . . . ٥١
 رسم دار وقفت في ظلله . . . ٥٢
 أبشين إنك قد ملكت فأسجحي . . . ٥٤
 خليلي عوجا بالمحلة من جمل . . . ٥٦
 ألا أيها الربيع الذي غير البلى . . . ٨٠
 أنخت جديلاً عند بثنة ليلة . . . ٨١
 بثينة من صنف يقلبن أيدي الرماة . . . ٨٤
 ورب حبال كنت أحكمت عقدها . . . ٨٥
 أيا ريح الشمال أما تريني . . . ٨٦
 عجل الفراق وليته لم يعجل . . . ٨٧
 وإني لأرضى من بثينة بالذي . . . ٨٨

ع

- أهاجك أم لا بالمداخل مربع . . . ٢٩
 صدت بثينة عني أن سعى ساع . . . ٥٧
 سقى منزلي يا بشين بحاجر . . . ٥٨
 لما دنا البين بين الهي واقتسموا . . . ٧٢
 ألا ناد غيراً من بثينة ترتمي . . . ٧٣
 عرفت مصيف الهي والمتربعا . . . ٧٤

ف

- أمن منزل قفر تعفت رسومه . . . ٣١

- ٨٩ فيها حسنها إذ يغسل الدمع كحلها .
 ١١٠ يا بشن حيسي أو عديني أو صلي . .
 ١١٧ إلى القرم الذي كانت يداه . .
 ١٢٧ ويمجيني من جعفر أن جعفرأ . .
 ١٢٨ صدع النبي وما كنى بجميل . .
 ٤٥ شهدت بأنني لم تغير مودتي . .
 ٥٠ أرى كل معشوقين غيري وغيرها . .
 ٨٣ وهما قالتا لو أن جميلاً . .
 ١١٠ يا عاذلي من الملام دعائي . .
 ١١١ فيا بشن إن واصلت حجة فاصرمي . .
 ١١٥ يا أم عبد الملك اصرميني . .
 ١٣٢ أنا جميل والحجاز وطني . .
 ١٣٣ يا ابن الأبرق وطب بت مسنده . .

م

- ١٢٩ جذام سيوف الله في كل موطن . .
 ١٣٠ وما عر جوامن استأ إذ يسبهم . .
 ١٣١ أنا جميل في السنام الأعظم . .
 ١٣٤ لعمرى لقد حسنت شغباً إلى بدا . .

هـ

- ٨٢ خليلي ان قالت بثينة ما له . .

ي

- ٤٧ أتاني عن مروان بالغيث أنه . .

ن

- ٤٢ حلفت برب الراقصات إلى منى . .